

الموعد الفصل

بقلم : عبد القادر الهاني

يكبر احتفاء الشعوب بأحداثها الوطنية على قدر أهميتها ، تلك التي تكتسبها من دورها في القطع مع ما كان سائدا أولاً ، وفيما ترسمه من خطط مستقبلية مبشرة واعدة ثانياً ، وفيما تتجزه من أعمال جسام ثالثاً .

ووفق هذا التمشي للمرء أن يتساءل عما يفسر الحفاوة العظمى التي يستقبل بها التونسيون مواعدهم السنوي ، موعد السابع من نوفمبر من كل عام ، سيأتي الجواب سريعاً مؤكداً : أن الحدث كبير في حد ذاته ، عظيم من منطلقاته ، وأنه مثل الكائن السليم التكوين ، ينمو بسرعة ، ويكبر في دائرة فسيحة تشمل أكثر من جهة وتستوعب أكثر من ميدان ، الشيء الذي مكنها أن تحقق كل يوم مكاسب جديدة لا تلبث أن تصبح في موقع الرصيد الضخم تتضاف إليه منجزات أخرى وأخرى في حركة دائبة مستمرة مع الأعوام تشد إليها القلوب والعقول فتتجاوب معها العزائم أقوالاً لاهجة وأفعالا ناجزة .

من أجل ذلك فإنه يمكن ويحق لأي منا أن يتساءل عن الحدث الذي شد إليه الانتباه خلال السنة السابعة من عمر السابع من نوفمبر المجيد ، والأكيد أن الجواب ليس واحداً ، لتعدد المنجزات وتزايد المكتسبات في مقدمتها دون ريب البشري التي توجه بها سيادة الرئيس زين العابدين بن علي للشعب التونسي إثر الانتخابات الرئاسية في مارس الماضي والتي نزلت بردا وسلاماً على قلب كل تونسي وتونسية ، إنه الإعلان عن الخطة التي تحدد نهاية القرن موعداً لزوال

مناطق الظل في كامل أرجاء البلاد ، وميقاتا لاختفاء كل هاتيك المظاهر المزريّة التي كادت أن تصبح من الأشياء الملازمة لها الحتمية فيها .

أي شيء يعني هذا ؟ إنه يعني وبالبساطة المعبرة والمؤثرة ، أنك وأنت تعبر البلاد في أعماقها ، في جهاتها الداخلية شمالا وجنوبا شرقا وغرب ، لن ترى - وقتئذ - ما يزعجك ويؤذيك ، إذ لن تتعطب وسيلة نقلك أو تتعطل بسبب فساد الطريق وانعدام مرافقها ، ولن يصادفك أطفال في عمر الزهور يجنون في سيرهم إلى مدارسهم وقد لطخ الوحل ثيابهم وأذواتهم ، وعلا الذبول وجوههم وبان الاعياء في عيونهم لا ولن تعترضك حشود من سالكي الطريق يسوقون حميرهم المحملة بمياه الشراب جاؤوا بها من مسافات طويلة فإذا هي لا تكاد تروي عطشهم فضلا عن أن تنال أبدانهم أو أثوابهم نصيبا منها ذا بال . فإذا هم في شقاء ظاهر وتبرم بالحياة تكشف عنه كل كلمة ينطقون بها ، بمناسبة وبغير مناسبة . لن تسمع أن امرأة وضعت طفلها في الطريق إلى المستشفى في المدينة البعيدة ، البعيدة ولن يروك أحد مأسى وقعت لأحد الأقارب أو الأجوار بسبب صعوبة الحياة في مناطق صعبة قاسية لكنها عزيزة عليهم ، لأنها لهم وهم منها لذلك فهم لا ولن يرضوا بغيرها بديلاً %

الإتحاف في عددها الخمسين

شعر : الحبيب دريال

* تحية وفاء بمناسبة صدور العدد الخمسين
للمجلة * الإتحاف * القراء .

أحبك جدولاً يروي بسايتني ويسمة في شفاه الورد تحييني
أحبك هكذا... تأتين مملكتي فانتشي طرباً ، أهنز في الحين
يطوي الزمان سنيها أنت بهجتها وأنت أول حب كاديفني
فكيف أنسى جمالاً قد فتنت به لا شسىء يمعني ، لا شيء يلهيني
ولست أخشى ملاماً حين أعشقها فالحب يا إخوتي فرع من الدين
وليس بدعاً إذا هشت لعاشقها تقول أهلاً ،،، أقول - الدهر - ضمني
أحار في الوصف هذا الوجه تيمني ماذا أقول إذا اختلت موازيني؟
وأنت مثلي وفي يا مؤسسها (1) يا صاحب العزم في كل الميادين
دللتها زمنافاشتدساً عدها وأنجبت بشراً من خيرة الطين
* * * *

خمسون سوسنة (2) قد راق منظرها وفي الفوائد ما يشفي ويكفيني
خمسون سوسنة نامت على كتفي كاتتام القطاف فوق الزياتين

فمرحباً بك تختالين شامخة
يسبّح المرء إجلالاً لخالقه
يُحيي شعوباً كما يحيي حضارتها
وفي بلادي رجال الفكر قد سعدوا
فالفضل يرجع للأبرار راودهم
فكان وعدو كان الفوز ثالثم
ما أروع النصر يأتي باسم أبدأ
جاز المديح وجازت كل قافية
مثل العروس ارتدت أبهى الفساتين
يا خالق الفكر هذا الفكر يحييني
لا خير في أمة بالمال تحميني
« عيد الثقافة » يا حلم الملايين
حلم لذيذ نماب بين الشرايين
ورابع القول (3) يحو كل تخمين
يأتي جميلاً كزهار الرياحين
وثوب القوم يوم البعث والدين



* الهوامش :

- 1 (الأستاذ عبد القادر الهادي مؤسس مجلة الاتحاد ومديره)
- 2 (إشارة إلى العدد الخمسين لمجلة الاتحاد جوان 1994)
- 3 (إشارة إلى الاحتفال بفتوى العدل الخمسين لمجلة الاتحاد وفشلار على الاستقرار بها .



شرح من الذّاكرة

بقلم : الأستاذ محسن الكريفي

الشَرْحُ الأوَّلُ : ذكرى جرح بلا دماء

عندما تفحص المكان كان يشعر مسبقاً أنّ كلّ موجود سيكون غريباً ، تلفّه جماعات لم يتعودها . يتأبط حقائقه وقد أنهكه التعب . يعجب من الحياة البديعة في قلب الصحراء . يتنفس هواء رطباً وحاراً ملء صدره .. هي حرارة الشرقيين قد اصطبغ بها الجو المحيط . الكلّ أهلاً ومرحباً ... لم يجد سوى ابتسامات مثقلة يردّ بها ... ألف سؤال اصطحبه من المطار إلى الاستراحة ، إلى المدرسة ... كان يخاف هذا الجديد القائم - صورته له مخياله على شاكلات شتّى ولكن أقرب صورة ظلّ بعيداً - نعم سيسأل القلاع عن بقايا ركامات الفاتحين القادمي الأشاوس . سيلحظ الحضارة الإسلامية والهندية والفارسية وقد لونت المزاج بتضاريس بديعة . سيكون السّفير البدوي في قلاع البادية . يلي إنّ هذا المكان استحال إلى جنّات عدن القديمة ووجد نفسه يسائل مواطن الإنسان الأوّل والرّوابي السّمراء المقدسة - هنالك عصا سحرية هزّت الزّمان بلطافة بديعة - عصا إلهيّة مقدسة لامست الأراضي الحصى فتشكّل الكلّ وحدة متجانسة ... لا وجود لمنحدرات ولا مرتفعات ولا التواءات ، نعم الكلّ يتشكل - حتّى الصّياحات والرّحامات والذّارات لا تشكل ما ألفه في المعاجم القديمة ، حتّى الصّمت لا يضاهي الصّمت الآخر . لا وجود لتمائلات - يتحدّ المطلق مع المطلق والواحد مع الكل والجزء مع الأصل . وجد نفسه قطرة في يَمّ سحيق - نسي الفصل الجديد واللّغة الجديدة والوجوه الجديدة - لم توقظه من غفوته الحلوة إلّا تربيته على المرفق : لو تسمح يا أستاذ ... كانت اللّهجة

شرقية صميمة .

لا تهم إن كانت مصرية أو عمانية أو سودانية ... فالتفاصيل الجغرافية لم تعد مهمة ... لم يدر بالضبط ما عساه يكون المقصد ؟ ولكنه كان يحس أنه كان أمام واجب ما . ظل يراقب الموقف فإذا ببدين تنتزعانه المجلة التي كان يتأبطها ... حتى أنت أيتها « الإتحاف » تودين الهروب - مللت الركون بين المدارج الضيقة ... هرعت من نفس الوجوه ... أتريدين معانقة العالمية وقد أضناك هوس الحدود ؟ ... لا بأس لن أتركك تميمسين كما يحلو لك ... لقد مررت بك من مطارات متعددة وطرقت بك جواً ... وما أنت في تربة ثانية ...

وتتلاقف الأيادي الإتحاف - نعم كانت بمثابة القطعة الثمينة النادرة ... : « من أين يا أستاذ هذه المجلة ؟ ... من تونس الخضراء ... من العاصمة ... مجلة ثقافية » ... وتصفحك آيات الاحترام والتقدير ... أناجيل الشكر والارتياح ... وتضطر إلى التنفس بكل ما أوتيت من قوة على هذا الكسب الكبير ... هو إجلال لتونس الحبيبة ... هذه الأرض التي مدت يديها للثقافة ، اعترافاً لجداوتها كي تكون أشأ للنماء الحضاري ... هو إكبار لهذه صغيرة أنجبت متنقضاتها مودة بارّة ... هي شهادة على أن الجبال الشامخة لن تنتكس أبداً ... وأن التربة السوداء لن تبور مطلقاً ، وأن الوجوه ذات الأخاديد تبقى دوماً عنوان التأصل ، والثبات وأن الفراغات والأقاويل والنزاعات ليست إلّا مداداً لإبداعات صميمة ... وجد نفسه في خضم المرات والحلاوة وقد تزاوجا ... كان يذكر ملياً بيت الإتحاف الصغير - بيت قميء كما يقول أبو العلاء في رسالة الغفران - في أقاصي الجنان ... ليس فيه سوى بعض الكراسي ومنضدتين ... كان يذكر الاجتماعات العسيرة والمشاورات الكثيرة ورسم الخيالات المبدعة ...

كان يذكر أغاني فيروز الحزينة التي تلقي على المكان حماساً لا يني . شكرا يا أيها السعدي المنصوري ، يا أبا فادي على ما حدث به . أيها الآتي من غياهب الغيافي - لن ينساك القرطاس والقلم . ولن تقدر المسافات ب « عنوان على كبج

جماح إبداعك ... وجميع به الخيال إلى جلسة الأستاذ عبد القادر وهو يناقش في
تحفّز كبير ... كان يوماً في استغفار حتّى تبقى الإتحاف على نفس الوهج الذي
عرفت به ... بضحك أحياناً لأنّ البعض كان يقصد إثارتة ، ولكنّه كان يوماً بصيراً
بما ينور ... أستاذ عبد القادر نهتّوك بالإتحاف في سنتها العاشرة وفي شخصك
نهنيء كلّ قرأ الإتحاف على مداومتهم وتشجيعهم الفياض ...

ثمّ تتلاحق الصور تبعاً ... تأتيه صورة عمر العبيدي وقد انكبّ على موضوع
يناقشه أو قصيدة يراجعها أو قطعة أدبية يشاكس أغلاطها ... كان كمجنون يلاحق
النجم المليون ... جلسته يوماً مشاغبة وكلامه مثير وسجارتة قد تيمّته العمر كلّ ...
أخ عمر نشدّ على جنونك ... كن كديك الجنّ الحمصي ولكن لا تنس أن الشرقيين
الذين لقيتهم قد اعترفوا بشاعريتك أين رفيقك الهادي الذي لا يهدأ له بال ...
لقد انتلغتما على معاندة الصعاب وعلى وضع بصمات للإتحاف ... هي في قلبكما
مهجة وفي عيونكما برق ممطار ... كان يتذكّر كلّ دقائق التواشيح القديمة ... أيتها
الإتحاف - يا من سرقتك الأيادي في غفلة منّي .. أرجعي إليّ ... قاسميني وحدتي
، غربتي ، سكنتني ، ثوراتي ، هجعاتي ... كان الكلّ قد التحق بالفصل إلّا هو فقد
تسمّر اريدّ على مدار التّاريخ العاصف بحاضره وماضيه . ووجد المدير يسأله :
أستاذ لك حصّة حبّاً لو تلتحق بالفصل ... نعم سيؤدّي واجبه ولكنّ أيتها
الإتحاف لن تهربي منّي ... سأبحث عنك في كلّ الفياضي ... في كلّ الغياهب ... عبر
كلّ المطارات والموانئ ... من وجدها منكم يوماً يتّصل بي فأتا يوماً في الانتظار
... على نفس الرّبوة وينفس الحنين

مسقط في 17 سبتمبر 1994

أوهام

بقلم : فوزية علوي

مرة جلستُ عند الجميزة

ومرة جلستُ عند الجميزة

المرّة الأولى لم يصبَح عليّ أحد ، والمرّة الثانية توقّف جميع الناس على أعتابي :
بواب العمارة وموزّع البريد ويانع الصّحف والبقال ويانع العصير وحتى الصّائغ ،
نعم الصّائغ بكلّ ذهبه وفضّته ومجوهراته توقّف عندي وصافحني بحرارة . أنا في
المرّة الأولى اِبتسمت وفي المرّة الثانية كَشَرْتُ .

سيدات الدانتيل يتبخترون بشعور الفجريات والسيقان سمر مشتهاة ملفوفة
بجوارب شفافة كأوهام الورد . خلتنَ يزهورهنّ الحمراء من راقصات الفلامينكو
أو من سلالة " ولادة " أيام كانت الأندلس عامرة بأهلها ، وقصّر الحمراء يغرق في
أحلام السّلطة والعشق .

حتىّ سيدات الدنتيلا توقّفن عندي ، صافحنني لاطفئنني ، راودنني دعونني إلى
فنجان شاي وجلسة لطيفة في مقهى الصيادين وحانة الصّفصاف وفندق الفربوس .
أنا يومها لم أتكلّم ، الجميزة اعتذرت مكاني . الهاتف يرنّ ، الصّحف تكتب ،
التلكسات لاهثة .

بواب العمارة أصرّ على حمل البطيخة مكاني حتىّ باب الشقّة والبقال أقسم أن
لا يقبض ثمنها بل أضاف إلى قفّتي لوزاً وموزاً وكرزاً .

أنا صرتُ أكل الموز بحمد الله .

» هات حبّ الرّمان يا جنّان

هات حبّ الملوك يا مملوك

هات حبّ العنب يا ابن الكلب »

وأضحكني البقال الذي أضحى يرثل شعراً ويهمزُ صبيهُ بقبضته ويجرجره بين
هذا الصندوق وذاك يستحقُّه أن ينقّي لي ما لذّ وطاب .

« ملوخية وقنارية وباذنجان يا مزيان »

صاحب المقهى أتانى قافراً كالسنجاب وأزاح النادل بضربة قاسية وابتسم لي إلى
أن أبصرت " أضراس عقله " وغرقني بمرشّ " الزهر " في غمامة من العطر وقدم
لي قدحا من قهوة معقّة لو لا بعض البقطة خلّنتي أحسسي سلاف دنّ كتلك التي
تغزلّ بها أبو نواس .

« هات البين يا ديك الجنّ »

« هات الشّاي يا غنّاي »

« ثمّة طبلّة وثمّة ناي »



مددت على الزّربية ساقِي / تمطّيت حتّى خلّنتي اوردتُ طولاً ببعض سنتمترات
ووضعوا ورائي مخدّات ووسائد ، لم أمانع .
<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

جاري المعلّم أصابته صدمة ولا شكّ ، أراه يبتسم مشوهاً ويأكل بشراهة من
كلّ الأصناف التي يعرف ولا يعرف . ورأيتُه بعينيّ هاتين يغطّس السمك في الشّاي
ثم يلعقه ، لا أحد يفهمه إلّا أنا أعرف أنّه ينتقم بطريقته الخاصة .

السيدة صاحبة القستان الأسود قرّرت هذه الليلة خلع حدادها وتبرّجت في
رداء شفاف بلون البنفسج وتهذّلت أردافها حتّى كدت أختنق وابتسمت لي عن بُعد
وهي تتراقص " هاي " ، أمّا أنا فقد أكلت كما لم أكل في حياتي ، نقت المالح
والحارّ والبارد والمُرّيع والمستطيل والمنثج والمحدّب وأتحتُ ليدي أن تلاعب أقرطاً وأن
تفكّ عقوداً وشربت حتّى رأيت الديكة تصفّق وتطير واستجبت لطلبات غريبة وسانجة
فقبلت من اشتهى قبلاً ووقّعت لمن رام توقيعاً وصار إسمي " سوسو " وأعطيتُ
عنواني وأرقاماً مختلفة لهواتف وبتلكسات .

سَيِّدَةُ الدَّانِثِيلا الأولى وَقَفَتْ كَسُوسَنَة وَأَحَاطَتْ أُرْدَافَهَا بِشَالٍ أَحْمَرٍ وَأَرْسَلَتْ
الْغَنَاءَ ، فَرَعَشَتْ سَاقًا وَرَجَرَجَتْ صَدْرًا وَغَمَزَتْ بَعَيْنَيْنِ ضَابِعَتَيْنِ .

تَمَطَّيْتُ أَنَا أَكْثَرَ حَتَّى أَرَقْتُ كَوُؤُسًا مَتَدَاعِيَةً عِنْدَ سَاقِيَّ وَابْتَسَمَتْ لَهَا وَأَنَا أَقْبَهُهُ
فِي دَاخِلِي .

بَانِعُ الْمَجُوهَرَاتِ اِنْحَنَى عَلَيَّ وَقَالَ : أُمُوكَ لَا تَتَلَفَهَا ، فَأَنْتَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالنُّرُوتِ
الطَّائِلَةِ ، ادْخُلْ مَعِيَ شَرِيكًا وَلَنْ تَنْدَمَ وَالْبَاقِي وَظَلْفُهُ فِي الْبُورِصَاتِ وَالْبَنُوكِ وَاشْتَرِ
لَكَ مَنْزِلًا فُخْمًا فِي حَيِّ " الطَّوَاوَيْسِ الْخَضِرِ " وَسَيَّارَةً بِقُوَّةٍ صَارُوخِيَّةٍ ، صَرَتْ مِنْ
الْأَعْيَانِ وَالتَّائِقِ وَاجِبٌ .

حَرَكْتُ لَهُ رَأْسِي عِلَامَةً عَنِ الْقَبُولِ وَرَفَعْتُ يَدِي إِلَى فَوْقِ أَصْفَقِ بَعْجُونِ
لِلسُّوسَنَةِ الرَّاقِصَةِ .

جَارِي الْمَعْلَمِ اِنْحَنَى عَلَيَّ حَائِرًا يَتَسَاءَلُ عَنِ تَفْسِيرِ هَذَا . قُلْتُ لَهُ
هَامَسًا : " سَمِعُوا أَنِّي رِبِحْتُ فِي " الْيَانْصِيْبِ " وَالْوَاقِعِ أَنَّهُمْ خَلَطُوا بَيْنِي وَبَيْنَ
الرَّابِعِ الْحَقِيقِيِّ لِلتَّشَابُهِ الْغَرِيبِ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَنَا قَرَّرْتُ أَنْ لَا أَخْبِرَ أَحَدًا بِالْحَقِيقَةِ
، فَقَطْ أَخْبَرْتُكَ وَسَأُخْبِرُ الْجَمِيزَةَ .



بين الإتحاف ومصادر أخرى :

في استخدام ابن أبي الضياف

للمادة التاريخية

للأستاذ: رياض المرزوقي

كان منطلق هذه المحاولة ما لاحظناه في انتقاء ابن أبي الضياف (المتوفى سنة 1291/ 1874) لأحداث تاريخية ووثائق معينة ، فهو يثبت بعضها ، ويهمل بعضها الآخر ، ويوجه قارئه وجهات معينة تطفي عليها مواقفه الشخصية ، على الرغم من أن وظائفه المختلفة ، وصلاته بالبلاط الحسيني ، قد سمحت له دون شك من أن يكون شاهد عصره ، وأن يطلع على أسرار خطيرة ليست في متناول الاخباريين العاديين ، وتستشهد هنا بنص من مقدمة تاريخه مقدّيش (المتوفى 1228 / 1813) يشير فيه إلى تيسر التاريخ إلى من كان في وضع ابن أبي الضياف :

» ... رأيت أنه لا يصلح لهذا الأمر إلا الوزراء وأرياب الدول الذين يتقلبون في ظلال الملوك والسلطين ، ويطالعون خزائنها المحتوية على مادة التواريخ ، ويتدارسونها كل وقت وكل حين وتتصرف على أيديهم حوادث العصر والأوطان ووقائع السلطين والبلدان ... » (1) .

ومن الأمثلة التي تدعم ما ذهبنا إليه سكوت ابن أبي الضياف عن مواقف مربية البليات ، كتراجع محمد الصادق باي (حكم بين 1859 و 1882) عن منعه لجنود الأسطول الفرنسي من النزول إلى البر خلال انتفاضة ابن غزايم (1864) ، حيث يثبت أن القنصل ... » طلب من الباي أن يبقي سلسلة البوغاز بحلق السوادي مفتوحة في الليل لتدخل شوانيمهم لحمل الماء للأسطول ولنزول العسكر أن اقتضى

الحال نزوله ، فقال له البايع : >> لا سبيل لنزول العسكر إلى البلاد ، ولا مقتضى له من الأحوال ... >> (3) ، لكن المراسلات الرسمية بين القنصل والبايع تنص على تراجع البايع في قراره ، مما أهمله ابن أبي الضياف (4) ، ونشك في عدم إطلاع صاحب الإتحاف على هذا القرار الهام .

والحادثة التي نعتني بها في هذا البحث هي كذلك من وجوه التدخل الأوروبي في السيادة التونسية ، وقد كان ابن أبي الضياف ، على حد علمنا ، أول وآخر من أشار إليها من المؤرخين والدارسين القدامى والمحدثين ، وهي حادثة " الكرسي " أو عرش محمد الصادق باي ، وقد اكتفت المقالة الوحيدة التي اهتمت بتاريخ العرش الحسيني ووصفه ، بذكر ما أدخله البايع على الكرسي من تغيير ، دون التوقف عند ردود الفعل التي حدثت داخليا وخارجيا (5) .

يقول ابن أبي الضياف : >> ... ولهذا البايع شغف بها (يعني الحضارة) ، وتأنق في مذهبها التحسينية ، حتى أنه عمد في هذه المدة إلى كرسي أبائه وأجداده الثابت في الحكمة - أسسه جده الأعلى أبو عبد الله محمد باي بن علي (6) لما أتى من الجزائر ، وأزال ما بها من كرسي ابن عمه علي باشا بن محمد (7) ، لدعوى أنه من شعار الكبر والعجب ، وصاحبه طموز بذلك ، وأبد له بهذا الكرسي وهو من عود الجوز وصنع البلاد ، وجلس عليه مدة حياته ، ثم أخوه (8) وينوهما ، وهذا البايع عاش من جلس عليه - فأبدله بكرسي يوضع على درجتين كنصف دائرة ، منمق بالتذهيب والنقش ، مغطى برداء من حرير ، مثل ما صنعه ابن عمه في صحن المحمدية (9) ، وبساط يعجب الناظر زخرفه ، وجعل مثله في بيت الباشا ، ومثله في " البيت الكبرى " .

وتكلم قنصل الانقليز (10) في المراد بهذا التبديل ، ومذهبه الكيفية التي تسمى إلى ما لا يسلمه ، وإن سلمه غيره بالقول ، فأجيب بأن التحسين والفخامة للمنصب ، فقال ما معناه : " من كانت ولايته فوق قدره تكبر ، ومن كانت ولايته دون قدره تواضع " .

و وقع لأهل المملكة تطير من إبدال هذا الكرسي ، ومنهم من قال : « إنما بدله للإشارة إلى أن كرسي الملك القهري أبدله الله بكرسي الملك القانوني » (11) ، إلى غير ذلك من مقالات المتزلفين وأهل البطالة .

والحق أن هذه ظروف ، والعبرة بالمظروف ، وفخامة الكرسي هي أفعال من يجلس عليه . " (12) ويحتاج هذا النص إلى بعض التعليق ، خصوصا فيما يتعلق بالخلفية التي دفعت بالباي إلى تغيير العرش ، وهو من الرموز الأساسية للحكم ، وكذلك بنوايا القنصل الانجليزي الحقيقية فسي تدخله الذي يصل حد " الوقاحة " .

ونؤجل هذا التعليق حتى ندرس مجموعة من الوثائق تهم هذه المسألة ، عثرنا عليها ضمن مخلفات المرحوم محمد المرزوقي ، وهي فيما يبدو نسخ لمراسلات مختلفة صادرة من الباي او مصطفى خزندار الى القنصل الفرنسي والقنصل الانجليزي (13) ، او الوكيل التونسي ببarris (14) والعكس ، وهذا تفصيل الوثائق المذكورة :

1- بالعربية :

1- من الباي الى القنصل الانجليزي بتاريخ 24 رمضان 1276 [15 أفريل 1860] يحمل الرقم 37 من دفتر وزارة الخارجية عدد 3753 .
ب - مثله الى القنصل الفرنسي ، في نفس التاريخ ، يحمل الرقم 38 من نفس الدفتر .

ج - من القنصل الفرنسي الى خزندار بلا تاريخ (15)

د - من خزندار الى الوكيل ببarris بتاريخ 6 رجب 1276 [29 جانفي 1860] .

2 - بالفرنسية :

أ - من الوكيل ببarris الى خزندار بتاريخ 15 فيفري 1860 .

ب - من القنصل الفرنسي الى الباي بلا تاريخ (16) .

ج - من القنصل نفسه الى الباي بتاريخ 9 أفريل 1860 .

ويتجلى من خلال هذه الوثائق أن الحادثة تتمثل في دعوة الباي للقناصل في حفل التنصيب الذي تم يوم 23 جانفي 1860 (17) ، ولما لاحظ القنصلان الانجليزي والفرنسي (18) تغيير شكل العرش وما رسم عليه من شعارات ، رفعوا إلى الباي مذكرات رسمية اختلفت في اللهجة ، باختلاف مواقف الحكومات من سياسة الحسينيين الانفصالية تجاه الباب العالي ، فالمذكرة الفرنسية لا تتجاوز حد التساؤل ، وطلب توضيحات حول الطابع الذي يكتسيه هذا العرش لأن العرش هو شعار السيادة والملكية ، وهو يمنح لمن يحمله شرف الحاكم وواجباته ، وتبعا لهذا فإن تغيير العرش بدا للقنصل الفرنسي تجديدا هاما يستحق التأويل ... بطريقة تفسد أو حتى تدمر الوضع القار [Statuquo] ، وهو وضع جهد القنصل على الدوام في المحافظة عليه واعتباره أساس علاقاته بالحكومة التونسية " (19) .

أما القنصل الانجليزي ، ولا نملك للأسف نص مذكرته ، لكن يمكن استنتاج حدة لهجته ، من نص ابن أبي الضياف ، ومن رسالة القنصل الفرنسي التي سعى فيها في " محو أقل أسباب عدم التفاهم بين حكومة الباي والحكومات الأجنبية ، وممثليها " .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وينقلب القنصل ، في هذه الوثيقة إلى مدافع عن الباي ونواياه ، إلا أنه يطلب بالاتفاق مع القنصل الانجليزي توضيحات كتابية ينفي فيها الباي نيته في المس من التوازن السياسي ، وهو ما يقوم به الباي حيث ينفي أنه قصد « تغيير الحال السياسي (كذا ؟) المطلوب حفظها » ، أو " تغيير كيفية الخلطة بينه وبين الدول " ، ويؤكد « أن هذا الكرسي هو نظير الذي تعود بالجلوس عليه في مواكبه ، وجلست عليه أسلافه منذ قرون ، ولا اعتبار بتغيير شكله ، إذ العبرة برسمه " ، وأنه لم يقصد به أي مقصد » (21) .

والخلفية السياسية التي تكمن وراء تدخل القنصلين ، وربما وراء موقف الباي نفسه هي علاقة الايالة التونسية بالسلطنة العثمانية ، وهي علاقة دخلت منذ عهد المشير الأول أحمد باي في دوامة من الشك ، والمواقف المؤكدة للنزعة الاستقلالية

التي بقدر ما شجعته فرنسا ، علمت انجلترا على رفضها ، أما مواقف البطانة ومنهم ابن أبي الضياف ، فكانت عامة أقرب إلى مناصرة الباي وتشجيعه . وعلى الرغم من دفاع ابن أبي الضياف عن هذا الارتباط في فصل هام من الإتحاف خصصه لحالة الإيالة مع الدولة العلية يقول فيه : « ... ان هذه المملكة التونسية تقر لله بالوحدانية ، ولحمد (ص) . بالرسالة ، وللسلطان العثماني بالطاعة . لأن الدولة العثمانية هي التي أنقذتها ، وأبقت بها كلمة الإسلام . وضاع في ذلك من رجالها وأموالها ما هو معلوم ... فغلا جرم إذها من جملة ممالك الدولة العثمانية المرسومة في الطبع الجغرافي . والسنة منابرها ودرامها ودنانيرها وعامة أهلها تنادي بذلك ، لا فرق بين بدوي متوحش ، ويلدي متانس ... ولأميرها الإذن في التصرف بالمصلحة ، من ولاية القضاة والعمال ورؤساء العساكر ، وجباية الأموال وصرفها في المصالح ، شأن ولاية التفويض الشرعية . ولم يخرج في صدر واحد من أمرائها دعوى استقلال ولا خروج عن ريقة الطاعة الواجبة شرعا وسياسة ، إذ لا يدعي الاستقلال إلا من يقدر عليه ... » (22) .

على الرغم من ذلك فإن معطيات كثيرة تدل على تأزم العلاقة بين تونس والباب العالي ، كما يبدو في البعثات المتوالية التي كانت تحاول في كل مرة توضيح النوايا ، أو التخفيف من التبعية من الجانب التونسي ، أو فرض قيود أثقل من السلطنة (23) . وقد كان لفرنسا دور كبير في ذلك التأزم (24) .

ومما يدعم هذه الخلفية في قضية الكرسي ، نص مراسلة إلى الوكيل التونسي بباريس من مصطفى خزندار يقول فيه : « ... كان للمرحوم المقدس مولانا سيدي أحمد باشا أتى بكرسي ملكي صنعه بفرنسا ، وبقي لم ينصبه حتى سار لرحمة الله وكذلك المنعم سيدي محمد ، وبقي إلى الآن في صناديقه حتى اتفق هذا الموكب لأجل قنوم الخلعة من اسلامبول ، نصبه مولانا دام عزه في البيت الكبيرة من سراية باربو ، فلما انفصل الموكب ، اعترض قنصل الانقليز مسيو وود نصبه ، وطلب ان يجعل مولانا عليه علامة السلطان العثماني ، فتغير مولانا أيده الله لذلك ،

وأجاب بأنه لا يمكن حتى إذا ألزم بجعل علامة عليه ، رأى أن يزيله للمرة أولى من جعل العلامة عليه ، وإلى الآن لم يفصل في رأيه ، وعرفناكم لتكونوا على بصيرة والسلام >>

فموقف المشير الثالث هو إذن موقف الرفض لعلامة السيادة العثمانية ، ولو اقتضى الأمر إزالة الكرسي ، وخوفه من الباب العالي يفوق كما يبدو خوفه من انذار القناصل ، ولو أن نسبة صنع الكرسي إلى المشير الأول نوع من التقصي من المسؤولية .

وجميع هذه التفاصيل كما نرى ، أهملها ابن أبي الضياف عن عمد ، أما لأنه لم يعرفها أهمية ، أو للتخفيف عن الباي ، ولو أنه ساقه بلذاعة ، في نص الإتحاف . هكذا نلاحظ أن موقف ابن أبي الضياف الذي عبر عنه في هذه المسألة ، سواء مباشرة في قوله >> العبرة بالمظروف بوفخامة الكرسي هي من أفعال من يجلس عليه >> ، أو خلال نقله لكلام القنصل الانجليزي ، ولتشاؤم التونسيين من تغيير الكرسي يوافق مواقفه المعروفة من تقده للحكم المطلق ، ولاشرف البايات في التأنق والزخرفة والبذخ ، ولكن لعلنا لا نظلم الرجل ، عندما نلاحظ أنه يبدو في أحيان كثيرة كالفافل عن حقيقة أطماع الأجانب ، وخطرهم الوشيك على البلاد ، فهو يحلل مواقف الانجليز مثلا تحليلا أخلاقيا ، حيث ينسب إلى ملتهم حب الانصاف والعدل (25) ، ولعل تأييده الضمني لموقف القنصل الانجليزي يدخل في هذا الإطار .

وعلى الرغم من تفتن خير الدين بشكل واضح إلى الخطر الأوروبي ، كما في قوله أوردها في مقدمة أقوم الممالك ، عندما يقول >> إن الممالك التي لا تتسج على منوال مجاورها فيما يستحدثونه من الآلات الحربية والتراتب العسكرية ، يوشك أن يكون غنيمة لهم ولو بعد حين >> ثم يضيف بعد إيراده لقوله بعض المؤلفين الأورباويين هذه >> وخص التراتيب الحربية لأنها موضوع كتابه ، وإلا فالواجب مجارة الجار في كل ما هو مظنة لتقدمه ، سواء كان من الأمور العسكرية أو

غيرها » (26) ، على الرغم من ذلك فإن ابن أبي الضياف لا يبدو مكثرًا لاستقرار فرنسا بجوار تونس منذ سنة 1830 ، ولعل ذلك راجع إلى اختلاف تكوين الرجلين ، وإطلاع خير الدين الواسع على السياسة الأوروبية ، إلا أن الانصاف يقتضي منا أن نشير إلى قولة وردت في الإتحاف ، تشير التساؤل ، وهي : « كما تحققوا من قنصل الفرنسيين بوفال Beauval ، مما نطق به لسان حاله ومقاله ، ان سياسته ونصحه إنما هي مقدمات نتيجتها الاستيلاء على المملكة بعسكر من الخطابة القولية والترهيب والنصح وضرب الناس بعضهم لبعض » (27)

وقد بدا بوضوح أن فرنسا تخطط للاستيلاء على تونس خلال انتفاضة ابن غدام ، كما يبدو في كلام المسؤولين الحسنيين أنفسهم ، أو ما يشيع بين الرعايا . (28) فهل أثر ابن أبي الضياف السكوت ؟ أو أنه ، وهي قضية أخرى خطيرة معقدة ، كان من المنتمين إلى بعض النزعات في البلاط ، ومنها نزعة خزندار التي ناصرت خلال الانتفاضة الدولة العثمانية وإنجلترا ، مما جلب لها عداوة الفرنسيين ؟ (29)

نعتقد أنه من السابق لأوانه الحكم لابن أبي الضياف أو عليه ، نظرا لأن الكثير من الوثائق التي تهم القرن التاسع عشر الميلادي لم تنشر بعد ولم تدرس ، وحسبنا من عملنا هذا إنارة بعض الجوانب ، أو القاء بعض التساؤلات .

* الهوامش :

- (1) نزعة الانتظار في علم التواريخ والأخبار ، ط . حجرية ، تونس 1321 هـ . 1 ، 2 .
- (2) إتحاف أهل الزمان ... ، تونس 1964 ، 5 ، 6 .
- (3) نفس المصدر ، 6 ، 164 .
- (4) بن غدام 1864 ، تونس 1967 ، 133 .
- (5) محمد بن الخوجة : صفحات من تاريخ تونس ، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي . بيروت 1986 ، 73 - 81 .
- (6) هو محمد الرشيد باي (حكم بين 1756 و 1759) : إتحاف ... ، 2 ، 159 - 178

- (7) هو علي باشا (حكم بين 1735 و 1756) : اتحاف ... ، 2 ، 117 - 145 ،
والكتاب الباشي ، لعمودة ابن عبد العزيز ، تحقيق محمد ماضور ، تونس 1970 .
- (8) هو علي باي بن الحسين (حكم بين 1759 و 1777) : اتحاف ... ، 2 ، 159 -
178 .
- (9) هو المشير الأول أحمد باشا (حكم بين 1837 و 1855) : بيلة أحمد باي تحقيق عبد
السلام ، تونس 1971 .
- (10) ريشار رود (1806 - 1900) : GANIAGE : les origines du Pro-
tectorat Francais en Tunisie (1861 - 1881) ، 2ed ، Tunis 1968 ، p
606 .
- (11) لعل ابن أبي الضياف يشر إلى ما عمد إليه المشير الثالث بمجرد توليه الحكم ، وهو الالتزام
بعهد الأمان ... 5 ، 24 - 25 .
- (12) ليون روش Leon Roche (1809 - ؟) : قانياج ، المذكور أعلاه ، 513 -
اتحاف ... 6 ، 193 .
- (13) جول دي لسبس : قانياج ، 302 . ومن المعلوم أن خزندار كان وزيرا للخارجية كذلك .
- (14) اكتفى روش بتاريخ مكتوبه بأضحى (يعني ضحى) يوم الجمعة ، وتقابل الجمعة الموالية
مباشرة للحادثة تاريخ 27 - 1 - 1860 .
- (15) نستنتج من هذه المذكرة أنها جاءت عقب الحادثة .
- (16) ينص على ذلك القنصل الفرنسي ، أما ابن أبي الضياف فيكتفي بقوله : « في هذه المدة »
- (17) يطمس ابن أبي الضياف دور القنصل الفرنسي في إثارة هذه الزويعه ، بينما تفيد الوثائق
عكس ذلك .
- (18) من مذكرة روش غير المؤرخة .
- (19) من رسالة روش بتاريخ 9 - 4 - 1830 .
- (20) من مكاتبة الباي إلى القنصل الانجليزي .
- (21) اتحاف ... ، 6 ، 13 - 30 .
- (22) انظر نفس المصدر ، 6 ، 15 (بعثه ارياله باي) - 16 (سفارة ابراهيم الريحاني -
ومصطفى البلهوان) - 17 (بعثه ابن أبي الضياف وخير الدين كاهية ، ومحمد كشك وعلي
الدرناري ، وسليم باي) - 19 (بعثه محمد عامل الساحل) - 23 (رسالة حيدر أفندي) -
24 (سفارة خير الدين) ... الخ
- (24) انظر دور القنصل ده لقو De Lagau في المصدر نفسه ، 6 ، 17 - وطلب الباي
الإعانة من لوي فيليب ، Louis Philippe 18 - وتدخل القنصل المذكور وخلفه ليون روش ،

21 وما بعدها - والصراع بين فرنسا وإنجلترا في ثورة ابن غداهم المذكور : 27 ، 28 ، 62 ، 69 ، 73 ، 74 ، 87 ، 88 ، 102 ، 104 ، 120 ، 121 ، 131 ، 139 ، 154 ، 161 إلى 164 الخ - وانظر خاصة تخوف فرنسا من عودة تونس إلى الباب العالي في المصدر نفسه : 92 ، 96 ، 97 ، الخ .

(25) « في طبعهم الانقياد إلى الحق ، والاحترام لوائح الحكم ، وليس لهم غرض في هذه المملكة زائد على الانتفاع بالخلطة والتجارة » (اتحاف ، 5 ، 105) ، « هذا الجنس لا يتساهل في ذلك - يعني الرضى باستقلال تونس - » (نفس المصدر ، 6 ، 13) الخ .

(26) أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك المقدمة وتقايض المعاصرين ، تحقيق المنصف الشنوفي ، تونس 1972 ، 94 .

(27) اتحاف ، 6 ، 23 .

(28) ثورة ابن غداهم : 165 (كلام محمد خزندار « الخطر لا يتأتى من الداخل ، بل هو وارد من جهة البحر ... ان مال الجزائر ينتظرنا » 166 « لم يتخلف الناس عن نسبة الخطر الى فرنسا عند تعليقهم على قوله « ان الخطر وارد من جهة البحر » 152 « ان السنة كثيرة تروج بالحاح كبير شلغعات تنسب الى فرنسا نية احتلال البلاد التونسية » 180 « في صورة تحقيق مثل هذا المشروع يخف حبالا جيش فرنسي الى غزو تونس ... ، وكذلك 141، 119 الخ .

(29) المصدر نفسه : 209 ، 250 ، 253 ، 279 ، 103 ، « لا أستبعد كل الاستبعاد وجود اتفاق مبرم منذ زمان بين القنصلية البريطانية والخزندار ، بل لعل الاتفاقية بشأن الملكية ... دبرت بين ديوان اسطنبول وحكومة لندن » ، وغير ذلك كثير . وقد تعرض ابن أبي الضياف إلى طلب عزل الخزندار الذي تقدم به الفرنسيون وأبدى تعجبه لأن المذكور « أفرط في إرخاء العنان لقناصل الفرنسيين ومساعدة أغراضهم » (اتحاف ، 5 ، 156) .



الجواد في تاريخ تونس الحديث

بقلم : أحمد جدي (جامعة صفاقس)

من اليوم إلى الأمس :

ماذا عن الجواد في تاريخ تونس الحديث ؟

للجواد تاريخ وموقع في الذاكرة الشعبية والتراث ، وبالتالي يندرج هذا الجواد ضمن ثنائية التاريخ وهل يمكن الحسم فيهما ولغائده من ؟

– التراث أولاً ثم التاريخ أم التاريخ أولاً ثم التراث ؟

بعيدا عن تحديد المفاهيم والأجهزة الذهنية والألوان المنهجية والمعرفية ، يجوز للمؤرخ القول بأن لا تراث بدون تاريخ ، ويصح هذا على العرب والمسلمين وأسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية . ولا يمكن من هذه الزاوية ، فصل التراث عن التاريخ والتاريخ عن التراث . وبذلك ، يكون التراث بُعداً من أبعاد التاريخ - كما أن التراث ليس الماضي بحذافيره ، إذ لا وجود للماضي في التاريخ ، بل كلّ ما في الأمر أن الماضي الذي يتكلم عنه لو يُبحث فيه أو يُوظف ، هو ماضٍ حاضِر *Passe*

Present ، ماضٍ له موقعٌ ما في الذهنية العامة والذاكرة الجماعية والوجدان العام . ومن هنا ، يتحوّل التراث - ضرورة - إلى ضرب من ضروب الزمن والخيال ، الزمن الخرافي ، زمن الأحلام ، زمن المفكرين ، زمن الدين - وهكذا - في التاريخ المادي والمعاش ، يكون الزمنُ أزمنةً ، ومن العبث البحث عن زمن واحد أو زمن مطلق ، إذن تتعدّد الأزمنة في التاريخ : الزمن الجغرافي الزمن الديني ، الزمن الثقافي ، الزمن الاقتصادي ، الزمن الإجتماعي ، الزمن السياسي ، الخ ... على ضوء كلّ ذلك ، يندرج التراث المادي وغير المادي ضمن تصوّرنا له وعلاقتنا به وأسئلتنا الملحة عليه وأسئلته العميقة علينا ، وقدرته على الإستجابة على ذلك وأخيرا

على آليات ومناهج دراسية وفهمه وتحليله ، في المستويات المادية والاجتماعية والمعرفية والرمزية على حد سواء ، ومن الملاحظ ، أنه كثيرا ما تشبه المفاهيم والعلاقات بين مقولات : التاريخ - التراث - الثقافة خاصة في الفضاء العربي الإسلامي ، لذلك وجب الحذر والتركيز والتدقيق وعدم الانزلاق في حيثيات قد تحجب الحقيقة العلمية والواقع التاريخي لظاهرة معينة . خصوصا أن الغرب يتحدث الآن عن ما بعد الحداثة La Post _ Modernite والمستقبل الماضي Le Future Passe .

في كل الحالات ، الجواد ، بصرف النظر عن موقعه ولونه وعمره ومشاكله ، حاضر بكثافة وبرمزية في الحضارة العربية الإسلامية - دينا وتاريخا وسياسة وأدبا وخيالا شعبيا . ذلك ، أن الجواد هو في نفس الوقت عنصر من عناصر التراث ويُعدّ من أبعاد التاريخ في الفضاء العربي الإسلامي . ومن الثابت علميا ووثائقيًا ، أن تاريخ الجواد لم يُكتب بصفة شاملة وعميقة ، وكل ما في الأمر ، نجد له حضورا في الشعر والنثر والحكايات والروايات الشعبية وبعض الفصول أو المقالات العلمية والطبية إضافة إلى عناصر تخصه مباشرة ، موثقة بالصورة أو بالأثر - والحقيقة أن دراسة معمقة للجواد تكشف عن كثير من جوانب عالمه الخاص وكذلك عن خفايا ومستويات ونوعية علاقاته بالأفراد والمجتمع والسلطة وعلاقات هذه المعطيات بالجواد . وبذلك ، يكون الجواد - لا حيوانا فقط كما يتبادر للذهن - بل رمزا من رموز الثروة أو السلطة أو الصراع ، وعنصرا من عناصرها . وبالتالي ، من يملك جوادا ، هو في الواقع الاجتماعي الثقافي مُميّز ، مُتّـمِـزٌ ومحظوظ وله نوع من السلطة الاجتماعية والاقتصادية والرمزية .

ونعتقد أن البحث في تاريخ الجواد في الفضاء العربي الإسلامي يمرّ وجوبا من ناحية منهجية معرفية ، بدراسة الجواد في فضاءات دقيقة مثل تونس ، لتعمّق الرؤيا . لذلك سنركّز على عناصر معينة تخص الجواد في تاريخ تونس الحديث ، دون أن يطمح هذا البحث لدراسة نهائية للجواد .

من الأمس إلى الغد :

لماذا ندرس الجواد في تاريخ تونس الحديث ؟

إذا تجاوزنا إشكالية التحقيق يمكن لنا التأكيد على أن دراسة تاريخ الجواد في تونس من القرن 16 وإلى القرن 19 تمثل مدخلا واعداد للتاريخ العام للبلاد التونسية في هذا العهد .

ولاحظنا - من موقعنا - عدم اهتمام الباحثين بهذا البعد الأساسي - أي الجواد - من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري والثقافي في تونس ، خاصة في المجتمع الريفي والقروي ، أي القبلي عموما ، باعتبار الجواد عنصرا ثابتا في الحياة العامة لم يستغن عنه في حياة المجتمع التونسي في العهد الحديث ويتجسم هذا الحضور في دور الجواد في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والعائلات والقبائل والعروش ، والعلاقات السياسية ، بين المجتمع والسلطة والسلطة والمجتمع ، ومكانته في الثقافة الشعبية والحياة الفكرية والفنية للفرد والمجموعة (الشعر ، الشعر الشعبي ، الحكايات الشعبية المتعلقة بالجواد) . وهو ما حوّل إلى رمز وشعار أذكى الخيال الشعبي والخيال الشعري على حد سواء ، وصل بهما الأمر التفتن في الحديث عن كسائه ولونه وحركاته وأكله ونظافته ونسله وجماله - إذن ، لاعتبارات عديدة ، يمكن لنا دراسة وكتابة تاريخ تونس الحديث من خلال دراسة الجواد ، وهي مسألة دقيقة ومركزية باعتبار عدم وجود تاريخ عام ، ومن هنا ، يمكن دراسة وكتابة تاريخ الجواد في تونس الحديثة ، وتجاوز بذلك النظرة الضيقة للجواد - كحيوان - وتقزيم دوره في التاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي . وتقوم الانتروبولوجيا التاريخية بنور هام في هذا المجال ، إذ ترغب في كثير من الجوانب غير الموثقة والمسكوت عنها ، وبالتالي يجوز لنا تعريف الجواد - في التحليل التاريخي الاجتماعي - ككتلة من المادّي والرمزي والثقافي تلتقي فيها عناصر عديدة ومختلفة : الطبيعة ، الاقتصاد ، الاجتماع ، السلطة السياسية ، الثقافة ، الدين ، ونمط الحياة عموما .

فما هي مصادر معرفة كتابة تاريخ الجواد وتاريخ تونس - من خلال الجواد -
في العهد الحديث ؟

إنّ هذه المصادر عديدة متنوّعة ومتفرّقة ومختلفة القيمة الوثائقيّة والعلميّة
والتاريخيّة ، وفي انتظار استغلالها وتوظيفها بكثافة ، نقدّمها بإيجاز :

1 - وثائق الأرشيف الوطني بتونس .

2 - المصادر الأدبية التونسية في العهد الحديث .

3 - كتب الرحلة والرحالة الأجانب .

4 - الشعر الشعبي (مثل ديوان سيدي أحمد بو بكر المعايي الشريف)

5 - الوثائق الشخصية مثل شهادات الملكية أو الإرث ، في كل الحالات ، هذه
المصادر هامة نوعا وعددا ، وأهمّها على الإطلاق - في الوقت الحاضر على الأقل ،
هي أرشيف النّوّلة التونسية التي سمحت لنا - في حدود - من القول بأنّ الجواد
في تونس الحديثة هو علامة ثروة وسلطة وبالتالي دليلا قاطعا على تقسيم وانقسام
المجتمع إلى محظوظين ومميّزين من جانب ، وغير محظوظين وغير مميّزين ، من
جانب آخر ، ومختلف مضاعفات مثل هذه الأوضاع .

فنظرا لعلاقاته المتينة بالمجتمع الريفي والقروي والقبلي ، كان الجواد في تونس
الحديثة علامة من علامات النخبويّة والتمييز الاجتماعي ، ذلك أنّ ملكيّة خاصّة بأفراد
وأشخاص نون آخرين ، ويجوز لنا - في هذا الاتجاه - رفض الأرقام العامّة
والغامضة في نفس الوقت ، التي يقدّمها البعض دون تفصيل ودون تحليل ،
وبالتالي لا تكشف لنا عن طبيعة العلاقات الاجتماعية ، مثل ما جاء في كتابات
لؤسّات قلّنسري " المتعلّقة بملكية دريد سنة 1880 والمتعلّقة في 1000 حصان
و2000 جملا لـ 10.000 بشر ، والواقع أنّ هذه الأرقام المبهمة تحجب الحقيقة
الاجتماعية والاقتصادية للجواد في مجتمع دريد ، ذلك أنّ هذه الثروة الحيوانية
ليست على ملك الجماعة ، بل هي ملك الخاصّة والأعيان والمحظوظين بمختلف أفقهم
وجنورهم وأوساطهم . ومن خلال وثيقة شخصية متعلّقة بقايد دريد حميدة بن علي

بن عزوزين دالية الرزقي المتوفي في سنة 1852 (1) ، يُستفاد أنه كان يملك لوحده 570 رأساً من الخيل . أما بالوطن القبلي ، فالأرقام المقدّمة في شأن الخيل والبغال تحجب طبيعة العلاقات الإجتماعية وموقع الخيل منها : 3000 رأس خيل ويغل (2) .

والحقيقة ، هي أن العناصر البشرية التي كوّنت القبائل والعروش لم تكن متساوية في الملكية ، لا فقط ملكية الأرض ، بل كذلك ملكية الحيوان الذي كان حكراً على الأعيان والخاصة من مشايخ وقياد وفلاحين كبار وكبار رجال الدولة . ولإثبات ذلك ، لا مفرّ لنا من تقديم عينات دقيقة ومضبوطة ومعبرة عن موقع الجواد في المجتمع والسلطة في تونس الحديثة قصد إبراز خصوصيته الإجتماعية والرمزية والسياسية ، أي أن من يملك جواداً في تونس الحديثة ، له بالضرورة موقع مميّز وليس من العامة أو من الطيّاشة حسب وثائق العصر .

وفي الوطن القبلي ، من خلال كل الوثائق التي وقع الاطلاع عليها ، تبين لنا أن الجواد ، علامة تميّز إجتماعي ، وبالتالي له مكانة في الذاكرة الجماعية والعلاقات الإجتماعية . ونسوق أمثلة دقيقة ومركّزة على ذلك <http://Archives>

- 1 - شهادة " شركة " في مُهَرَّة وفَرَس ، صاحبهما من هنشير السودان والمسؤول عن تربيتهما بهنشير القيطون ، وسجّل هذه الشهادة ، بحضور المذكورين أعلاه ، العدل محمد بو عزيز الأصغر بتاريخ 25 شوال 1308 (1891) (3) .
- 2 - حمّادي الجزيري - خليفة منزل بوزلفة ، كان يملك سنة 1867 - 2 من خيول (4) .
- 3 - محمد النجار - خليفة قليبية - كان يملك سنة 1868 - 2 من الخيول (5) .
- 4 - الحاج عبد الله النويصر من عرش حيشة يملك فرسا (6) .
- 5 - عمر بن الحاج كيلاني يملك 2 من الخيل (7) .
- 6 - في زاوية أم نويل وحدها ، يملك أشخاص من المعاوين سنة 1882 ، 30 حصانا ، في حين يملك باقي السكان (42 شخصا) حصانا واحداً (8) .

7 - أحد الضباط من زواوة ، البلقباشي محمد المعموري يملك بسليمان " خيالي واحد " (9) .

أما عن الجواد في مجتمع الفراشيش في العهد الحديث ، فلئن كانت المعلومات العامة قليلة جدا ، فإنها بالمقابل ، دقيقة إذا ما تعلّق الأمر بعلاقة الجواد بخاصة بأعيان الفراشيش ، أسماء وعددا ووظائف . فالوثائق سجّلت لنا بوضوح - المحظوظين الذين يملكون خيلا ، مثل أولاد ناجي سنة 1868 لهم 12 رأسا من الخيل (10) وأولاد علي من الفراشيش كذلك ، 28 حصانا وفرسا (11) والسماعة من أولاد علي لهم 6 خيول ، أي بنسبة 21.42 % (12) . ومن أولاد علي قدّرت ملكية الشيخ سليمان بن أحمد - أحد قياد الفراشيش لمدة 6 سنوات - بـ 4 خيول من جملة 28 فرسا وحصانا ، أي بنسبة 14.28 % (13) يمثل الجواد بذلك علامة تميّز في مجتمع الفراشيش وكذلك وعزا من رموز السلطة والتخوية . لاحظنا كذلك من خلال الوثائق المعتمدة أن الجواد عنصر توتّر في العلاقات بين الأفراد والعروش وتتدخل - الجسم فيه - عدة أطراف ، آخرها السلطة المركزية ، وتفيدنا عديد الوثائق بمعلومات دقيقة وذات دلالات كبرى حول هذه المسألة مثل موقف الصادق باي - في رسالة مؤرخة بـ 21 محرم 1288 وموجهة إلى قياد الفراشيش الحاج حراث مصطفى بن قسوم ومبارك بن العمري ، ومحتواها غارة 6 أنفار من الفراشيش على شاوشين وأخذوا لهما 3 خيول مطبوعة بسروجها و3 مكاحل (14) أو الأمر الصادر من الصادق باي إلى قايد أولاد ناجي من الفراشيش في شراء فرسين للصباحية تعويضا لفرسيهما اللذين ماتا (15) أو اختلاس محمود الوزقة الفرشيشي لمُهرة لمنوب محمد بن أحمد بن الصيّفي الغريسي (16) أو سرقة فرس متبوعة بمهرة عندما بات عثمان بن عمر العياري العسكري عند محمد بن عبد الجواد الفرشيشي من أولاد غيذه ووجب خلاصه (17) .

وتتعدّد الأمثلة التي تكشف عن نوعية العلاقات بين المجتمع والسلطة والجواد مكانة

كبيرة ومميّزة فيها . مثل تلك الرسالة التي وجهها قاضي نالة - في شكل شهادة موجهة إلى الصادق باي ، ومحتواها أن 3 أفراد من الفراشيش راكبين خيولهم ويتنقلون من " نزلة إلى نزلة " ويساهمون في التشويش والفساد (18) أو البحث عن أنفار فراشيش تجاوزوا الحدود (الجزائر) وغاروا على النمامشة (اللمامشة) وأخذوا لهم حصانا و 28 بقرة (19) ، كما نجد نفس المحتوى في رسالة موجهة من القائد قسوم إلى الصادق باي (20) .

- وفي شكوى جماعية من شيوخ وأعيان عرش أولاد ناجي من الفراشيش ضد الحاج صالح التليلي ، قايد أولاد ناجي ، يهتمونه لدى الصادق باي بافتكاكه " غراير منهم لجعلها غطاء لخيله " وهكذا يكون القايد مالكا كبيرا للخيول في مجتمع الفراشيش (21) . كما تتطور العلاقات بين عناصر القبيلة فيصبح الحصان أو الفرس ضحية الصّراع . بالموت رصاصا ، مثل موت فرس ابن الشيخ أحمد بن بو بكر ، نتيجة لرفض أولاد ناجي دفع مال الإعانة (22) . وتشهد الأزمة الداخلية للقبيلة متمثلة في مصابرة أملاك بعض الأعيان الذين يقضون ضد قرارات السلطة ، أو بعد موتهم ، مثل توجيه كسب الحاج السهيلي أو توزيعه على المزارقية ، مثل ما جاء في رسالة علي الصغير بن مبارك إلى وزير العمالة رستم بتاريخ 16 صفر 1283 ومحتواها أن كسب الحاج يونس السهيلي يتكوّن من 30 بعيروا و 400 شاة .. و 2 زوايل ... مات منها ... ووجهنا البقية إلى الحضرة (23) . ويبقى القيادة رمز الثورة الحيوانية وخاصة الخيول ، ويظهر ذلك في رسالة جماعية من أعيان وشيوخ أولاد ناجي إلى محمد العزيز بوعتور ، وهي شكوى ضد الحاج محمد قعيد بن سالم وجاء فيها : « أخذ منا 500 نعجة و 65 بعيروا و 5 أبغال وزوج زوايل » (24) . ويعترف سليمان بن أحمد بأهمية ثروته الحيوانية التي أصبح يستغلها لفائدة مشاريع السلطة المركزية المتمثلة في بناء برج وسجن حيدرة ، ويقول في ذلك ، في رسالة موجهة إلى رستم : « فُصِرْتُ نَاخُذُ بِالْبَيْنِ وَنَبِيْعُ مِنْ زَوَايِلِي وَنَدْفَعُ فِي الْمَصْرُوفِ ثَرْمَةَ حَيْدَرَةٍ » (25) . كما تاتّن السلطة عمالها

بشراء خيول سالمة من المرض ويستجيب هؤلاء لطلب السلطة . مثل ما يُعبّر عن ذلك سليمان بن أحمد عامل أولاد علي ، إلى العزيز بو عتور ، قائلًا : « وجدنا 14 حصانا (من 15) ، ها نحن وجهناها إلى وزارة الحرب » (26) أو شراء خيول لفائدة المخزن بعد موت خيول البعض منهم (27) أو استعمال الخيل في الإعلام والتحريض على المقاومة ورفض دفع مال الإعانة (28) . وتأمّر السلطة المركزية عمالها في الفراشيش بخلاص الذين وقعت عليهم كثير من الفارات وخسروا حيواناتهم وثرواتهم ، مثل ما جاء في رسالة علي الصغير بن مبارك إلى خير الدين ومحتواها : « خلصت أولاد علي 1200 شاة و 15 بعيرا وجميع الخيل والأبغال » (29) أو قائمة مفصلة في نهب أولاد يحيى بن طالب من الجزائر لماجر وأولاد علي من الفراشيش : 182 بعيرا ، 187 بقرة ، 5783 شاة ، 28 حصانا و فرسا ، 8 بغال ، 40 حميرا ، 20 خيمة و 22 بندقية (30) .

كما يكون الجواد محلّ صراع وسرقة مثل شراء حصان للباي وحقيقته مسروق من عند الحنانشة (31) أو اقتكاك حصان أو فرس القايد ، يُعتبر موقفا من السلطة الجهوية ، مثل غارة على الزغالة ومن نتائجها اقتكاك فرس الحاج قعيد بن سالم (32) . في كل الحالات ، الجواد حاضر بكثافة في العلاقات الإجتماعية والسياسية داخل القبيلة وخارجها ، أي بين القبائل أو بين السلطة والمجتمع في مستويات عديدة .

أمّا عن علاقة الجواد بالسلطة في تونس الحديثة ، فإن المسألة أخذت بُعداً خاصا باعتبار أهمية الجواد السياسية والعسكرية والثقافية ، ذلك أنه اعتبر جهازاً من أجهزة الدولة الحسينية ورمزا من رموزها . فوثائق الارشيف الوطني تعدّ عشرات الملفات ومديد الوثائق والدفاتر المتعلقة بالجواد : الخيل ، الخيالة ، بيعا وشراء وعلفا وتربية ... وتطلّب الموضوع تدخل الدولة في هذا الميدان بكل ثقلها ويأثّر في حياتها المتنوّعة سواء في مسائل العلف (33) أو أسماء الصبايحية الخيالة (34) أو الجوانب الأتراك والعرب والماليك الراكبين للخيل (35) وشراء الدولة للخيل في

مصالح خاصة (36) ومصاريف جيش الخيالة (37) والصبايحية عموماً (38) ، ومن المعروف أن الجواد رمز من رموز كبار النُولة مثل خير الدين راجبا حصانه وجيش المحلة .

إذن ، كل المؤشرات تدلّ على أنّ للجواد موقعا مميزا في المجتمع والدولة والثقافة في تونس العهد الحديث وتجاوز حضوره الأبعاد الإقتصادية والسياسية العسكرية ليشمل البُعدين الحضاري والرمزي .

* الهوامش :

- 18 - ملف 198 - صندوق 18 - وثيقة رقم 14852 مكرر .
- 19 - ن . م . وثيقة رقم 14861
- 20 - ن . م . وثيقة رقم 14863
- 21 - 1 . و . 1 . و . السلسلة التاريخية - ملف 198 - صندوق 18 - وثيقة رقم 14917
- 22 - ن . م . وثيقة رقم 14962
- 23 - ن . م . وثيقة رقم 15262
- 24 - ن . م . وثيقة رقم 15439
- 25 - ن . م . وثيقة رقم 15288
- 26 - ملف 198 - صندوق 18 - وثيقة رقم 15365
- 27 - ن . م . وثيقة رقم 15384
- 28 - ن . م . وثيقة رقم 15383
- 29 - ن . م . وثيقة رقم 15486
- 30 - ن . م . وثيقة رقم 15548
- 31 - ن . م . وثيقة رقم 15577
- 32 - ن . م . وثيقة رقم 15682
- 33 - الأرشيف الوطني التونسي - ملف عدد 3698
- 34 - ن . م . ملف عدد 3697
- 35 - ن . م . ملف عدد 3688
- 36 - ن . م . ملف عدد 2372
- 37 - ن . م . ملف عدد 3330
- 38 - ن . م . ملف عدد 3661
- 1 - وثيقة إرث يقدم بتخليها الآن كل من الباحثين أحمد جدي من كلية الآداب بصفاقس وأحمد بدر الدين الأزهر الكسراوي من معهد التراث بصفاقس .
- 2 - انظر : SETHOM(H) , L.agriculture dans la presqu'île du Cap Bon 3. Tunis , P.U.T 1977 PP 51.
- دفتري رقم 7421 محكمة منزل تميم - وثيقة رقم 168
- 4 - وثائق الأرشيف الوطني - ملف 413 - صندوق 42.209
- 35 - وثيقة رقم 42.209
- 5 - دفتري جيباني - رقم 970
- 6 - 7 : ن . م
- 8 - انظر : Poncet (J) , le colonisation et l'agriculture enrogeennes en Tunisie depuis 1818 _ Paris . Ed . Monton 1961 _ PP 119.
- 9 - دفتري جيباني رقم 970
- 10 - دفتري جيباني رقم 993
- 11 - 12 . 13 : ن . م .
- 14 - 1 . و . 1 . و . السلسلة التاريخية - ملف 162
- صندوق 16 - وثيقة رقم 12763
- 15 - ن . م . وثيقة رقم 12765
- 16 - ن . م . وثيقة رقم 12768
- 17 - ن . م . وثيقة رقم 12773

فنُّ الهجاء عند المتنبي

[تحليل قصيدة في هجاء كافور] نموذجاً

بقلم : عادل عبد القوي

الهجاء عند المتنبي :

يعرّف ابن رشيق الهجاء بقوله « وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النَّفسية وما تركّب من بعضها مع بعض . فأمّا ما كان في الخلقة الجسمية من المعاييب ، فالهجاء به دون ما تقدّم » .
إنَّ أهمَّ فعل ينشئه الشاعر هو فعل السلب ، سلب كلّ السّمات الإنسانية . وتجريد المهجّو من كلّ أوامر الإنتماء المجتمعي فيطفيء فيه جذوة تألّق الأنا بالكشف عن وجوه انكسارها . ويتّضح من المدونة الشعرية أنّ أبا الطيّب قد خرج من هجاء الأفراد إلى هجاء الإنسان . ومن النظر في الكائن الفرد إلى النظر في الوجود « فكان تهافت الأفراد والنّاس في المجتمع صورة لتهافت معانيهم في نفسه » فلقد اطلّع الشاعر على أحوال البلاد والعباد وأحصى في البشر عيوباً عديدة لقد أباحوا لأنفسهم كلّ الخسائس واغتصبوا كلّ خلق ، واستحووا كلّ القيم ، واستباحوا الدّين ، فضاقت بينهم أمجاد العرب . لذلك جرّد لسانه يرميهم بأقذع أهاجيه وأمرها ، لأنّهم طالما اضطجعوا في مراقد الضّلالة والفتنة .

ولمّا كان الهجاء غرضاً شعريّاً مستهلكاً ، فإنّ ذلك لم يمنع أبا الطيّب من اختراق دائرة " المقول " إلى التطبيق في فضاءات الإبداع بالتوسيع في المعنى حيناً ، وبالإلتزام عن الصّور الموروثة حيناً آخر . وانفتحت أهاجيه على أنساق فنيّة تنهض بوحداث دلالية منجّمة تتوزّع عبر متن النّص الشعري ، وتنتهي إلى المتلقّي درجة من

الخطاب تتعدّد في مفاصله أصوات التَّبرّم والسَّخْرية والشتيمة والقهقهة المضمرة ،
فإذا المهجّو - عند نفسه - كتلة من المثالب والعورات والعيوب ، باختصار يستحيل
فراغا مقبّتا أمام حضرة السّامعين .

إنّ المعاني الهجائية في مدوّنّة الشاعر عديدة كما أُلْمعنا إلى ذلك ، والفنون فيها
مختلفة ومتعدّدة بتعدّد طبيعة الموقف واللّحظة الوجدانية والشعرية ، وسنحاول في
هذا التحليل تقصّي جانبها من بنية الخطاب الشعري وطرائق إخراج الصّور الفنيّة ،
انطلاقا من نموذج إجرائي وهو أشهر ما قال من قصائده في هجاء كافور
الإخشيدى .

قال أبو الطيّب المتنبي في هجاء كافور الإخشيدى :

- 1 - أَرَيْكَ الرُّضَا لَوْ أَخْلَعْتَ النَّفْسُ خَافِيَا
وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا
- 2 - أَمِينَا وَإِخْلَافَا وَغَدْرًا وَخِسَّةً
وَجَيْشًا ، أَشْخَصًا لَحْتُ لِي أَمْ مَخَازِيَا
- 3 - تَظُنُّ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغِيظَةً
وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا
- 4 - وَتَعْجِبُنِي رِجْلَاكَ فِي الثَّغْلِ إِنِّي
رَأَيْتَكَ ذَا ثَغْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا
- 5 - وَإِنَّكَ لَا تَذَرِي أَلْوَنَكَ أَسْوَدُ
مِنْ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا
- 6 - وَيُذَكِّرُنِي تَخِيْطُ كَتَبِكَ شَقَّةً
وَمَشِيكَ فِي تَوْبٍ مِنَ الزُّيْتِ عَارِيَا
- 7 - وَلَوْلَا فَضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا
بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ حَاجِيَا

- 8 - فاصْبَحْتُ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ
وَلِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ فَجْوَكَ غَالِيَا
- 9 - فَإِنْ كُنْتُ لَا خَيْرًا أَفَدْتُ فَإِنِّي
أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْقَرَتِكَ الْمَلَاهِيَا
- 10 - وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ
لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِيا

الديوان - شرح البرقوقي

ج 4 - ص 432 - 434 دار الكتاب العربي بيروت 1980

بنية الأنظمة العلانمية :

ثنائية الظاهر والباطن :

تخضع كل أبيات القصيدة إلى طرافة فنية ، ونظام دقيق يساهم كل منهما إلى جانب الصور والمعاني ، في الإفصاح عن دلالة الإضحاك / البكاء على كافور الإخشيدي .

وهذه الآلية الأولى ، آلية الظاهر والباطن ، هي مقياسنا المرحلي في تفكيك النظام إلى مكوناته الدلالية الدنيا .

الباطن	الظاهر	
عدم الرضى	رضى	ب 1
مخازي	شخص	ب 2
ضاحك من ...	رجاء وغبطة	ب 3
حافيا	نو نعل	ب 4

ب 5	أبيض	أسود
ب 6	ملك	عبد
ب 7	مدح	هجاء
ب 8	مادح	هاج
ب 9	لا خيراً أفدت ...	أفدت ... الملاحيا
ب 10	تعظيم	إضحاك

بناء على ما تقدّم من المادة المعجمية الواردة بالجدول نتبين أنّ لكافور صورتين : صورة ظاهرة ، تكشف عن مكانة راقية ، وعن حضور سياسي متميّز ، وعن ذات ممثلة رضى وطمأنينة . وصورة مضمرة تفضح تهافت مكانته تلك ، وتشوّه حاضره الزائف باستحضار لقطات مقتطعة من الماضي الذي يحاول كافور الانسلاخ عنه . ولكنّ الشاعر يجعله يمثلُ بنفسه أمام طفولته ليُشهِدَه على شقاء حياته الأولى فالصورة إذن ، هي صورة الواقع بالوانه الباهتة والمزيّفة ، والصورة الثانية هي الفنّ . فالهجو - الإنسان أضحى أضحوكة الشاعر - الفنّان ، الذي يكثف استخدام الألوان السوداء القاتمة .

إنّ الشاعر - الفنّان لحظة اقترابه / بعده من اللوحة يصنع موقفاً من الآخر المتلقّي للعهد / القصيدة .

وإنّ القارئ ساعة ينخرط بفعل التأثير في لعبة التأويل يجد نفسه أمام تنافر غريب ومفارقة تتمّ عن رسم أثم على نحو لوحة الموناليزا ظاهرها ضحك وانتشاء

بالعشق وتوَلَّب صارخ ، وباطنها سخرية فاضحة وقعود عن الفعل .
 هذا هو كافور ، إذن ، متى تحرَّك تسَقَط الشاعر عَوْراته وعاهاته ، ومتى التفت
 رأى لونَ الزَّيت يَرشَحُ من جسده الطفوليِّ القديم .
 فالظاهر إذن حجاب افْتعلَه كافور ليُخفي ماضيه الدُّنس والباطن هو هُتَكَ لِلْحُجُبِ
 تلك وكشف عن عراء الحاضر ولأنَّ " كافوراً " - من حيث هو اسم علم دال على
 عنصر البياض / الحاضر قد تنكَّر لحقيقته ، فَإِنَّ المتنبِّي عليم (بالمفهوم الفنِّي
 للكلمة) بخفايا هذا الرَّجل ، فصنع من عقدة السَّواد حقيقة ثابتة لا يستطيع كافور
 الانفلات منها أبداً .

ثانية النفي والإثبات :

إذا كان الهجاء هو تجريد المهجَّو من كلِّ المعايير الخَلقية والخَلقية الفاضلة ، فَإِنَّ
 الشاعر ينجِز بالضرورة حركتين متنافرتين : حركة أولى تنفي وتسلب ، وحركة ثانية
 تثبت وتؤكد . ولتوضيح ذلك سنستثمر الثنائية السابقة في رصد جدلية النفي
 والإثبات :

نفي	إثبات	
الظاهر	الباطن	ب 1
.	.	ب 2
.	.	ب 3
.	.	ب 4
.	.	ب 5
.	.	ب 6
.	.	ب 7
.	.	ب 8
.	.	ب 9
.	.	ب 10

ثانية الباث والمتقبّل :

في مستوى انظام الضمائر ، تقوم هذه الأهجوة على بنية التعارض بين " الأنا " والـ " أنت " ، وهذا التعارض يبرزه فشل المتنبّي من جهة ، فهو لم يظفر من كافور بغير الوعد الكاذبة . ومن جهة ثانية يفسّر بثورة الشاعر على الأوضاع السياسية المهترئة ، والتحلّل القيميّ المغضوح . فلم يكن كافور غير حلقة من حلقات رداءة القرن الرابع للهجرة ولم يكن أبو الطيب سوى شاهد على العصر .

والجدول الذي سنقترحه يلخّص بنية التقاطع بين الضميرين بالاعتماد على التقويم الحسابي :

مجموع	أنت	أنا	
5	2	3	ب 1
2	1	1	ب 2
3	1	2	ب 3
6	3	3	ب 4
3	3	0	ب 5
3	2	1	ب 6
5	2	3	ب 7
3	2	1	ب 8
5	3	3	ب 9
1	1	0	ب 10
36	20	16	المجموع

تحليل الجدول :

1 - يبلغ عدد الضمائر الواردة بالقصيدة (36) الباث / الشاعر (16) المتقبّل / المهجور (20) والملاحظ غلبة الضمائر العائدة على المخاطب لتكثيف دلالة

الإبلاغ والتقريع والإقذاع حتى يظهر كافور مستقطباً كل الصفات والنُوع التي رُمي بها .

2 - استخدام ضمير المخاطب المفرد " أنت " هو نوع من استحضار المخاطب واستدعاء المهجور ليمثل أمام هذه التَّهم ، ولتزيد درجة التَّشفي منه والتَّكيل به . فالأخشيدي حاضر في الأهجية رغم غيابه .

3 - البيتان الخامس والعاشر ينتفي منهما حضور ضمير الـ " أنا " ، حتى يسع البيت الشعري ما أمكن من عبء الصفات إذ يبلغ التحقير مداه الأقصى في هذين المولدين بالتركيز على مفهوم البياض / السواد (ب 5) والضحك / البكاء (ب 10) وهما بؤرة التَّفَجُّر العاطفي المنفعل وكأنَّ البيت الخامس الذي توسَّط القصيدة هو القلب الذي ينبض فيها ، بل هو البيت النَّابض في قلبها . وورد البيت العاشر على نمط " الخُرْجة " في الموشح ، زيادة في التَّغني برذائل أخلاقه الميكية / المضحكة في أن . وظليقة حضور ضمير أنت هي تفكير أخير بصورة المهجور حتى تظلَّ عالقة بذهن السَّامع في أبشع منظر .

<http://Archivebeta.Sakiric.com>

4 - يتساوى حضور الضميرين في البيت الرابع فقط . ثم يعود إلى ما كان بينهما من تفاوت . وسبب هذا التوازي في نسبة الحضور (3+3) هو فعل " رأيك " ، الذي يفيد معنى اللِّقاء والمواجهة بين أنا وأنت . لإرباك الخصم المخاطب .

5 - الأبيات 1+4+6+7: تتصدَّر كلها بضمير المتكلم المفرد فهي بمثابة المواجهة وتوجيه الإتهام المباشر والتَّحدِّي .

6 - الأبيات 2+3+5+8+9+10 : تفتتح بضمير المخاطب المفرد في شكل أساليب خبرية لتقرير حالة نفسية أو جسدية أو سلوكية .

ثنائية الاتصال والإنفصال :

الضمير	الفعل	العدد
أنا	تعجبني - يذكرني - أفدتُ - كنتُ	4
أنتُ	لحتُ - تظنُّ - تدري - أصبحتُ - أفدتُ - كنتُ	6
أنا + أنت	أريكُ - رأيكُ - جئتُكُ	3
Ø	أخفتُ - صار - يؤتى - يضحك	4

- 1- تضم القصيدة 17 فعلاً . وأكثر الأفعال تعود على المخاطب (6) .
- 2- بين أنا وأنت تمتد مسافة بُعد وإنفصال ، لأجل أن يستشعر السامع قذارة المهجور ، ولا يقترب منه لفرط تعفنه فيرضي بالمشاهدة أو الإنصات (تسمع بكافور خير من أن تراه !)
- 3- أما الاتصال بين المتكلم والمخاطب في بعض الأفعال (3) فيفهم منه شيان :
* أنه بقدر ما يكون الإلتحام المعجمي في الفعل الواحد بين الضميرين يحصل تنافر وتوتر شديد .
* اعتمد المتنبي حاسة البصر لأن الرؤية لا يمكن أن يكذبها السامع فهي بمثابة اليقين / الشهادة بمعناها القضائي .
- 4- كما أن الشاعر راح بين الأفعال الدالة على الماضي / الذاكرة . وهي تبحث في حقيقة أصل كافور . وبين الأفعال الدالة على الحاضر وكأنه يجزه جراً من أننيه إلى مسرح الجريمة والتهمة ، ويسحب أمام الزمن الماضي لأن حاضره زيف غلف به نفسه وجلده الأسود وشقوق كعبه .

ثنائية الأسماء والصفات :

يقوم هذا القسم من التحليل على توظيف المادة المعجمية والبلاغية والتركيبية والصرفية . ولكن تخضع كل هذه المعطيات الفنية إلى مكون بلاغي يشكل أساس التقابل بين الشاعر والمهجور هو : مفهوم الطباق توسيعاً لدلالة المفارقة والتمايز بينهما :

ب 1	أريك	أخفت	فعل ≠ فعل
ب 2	شخصا	مخازيا	اسم ≠ جمع
ب 3	ابتساماتي	ضاحك من ...	جمع ≠ اسم فاعل
ب 4	ذا نعل	حافيا	صفة ≠ صفة
ب 5	أسود	أبيض	صفة ≠ صفة
ب 6	Ø	Ø	Ø
ب 7	مادحا	هاجيا	اسم فاعل ≠ اسم فاعل
ب 8	منشد	هجوک	اسم فاعل ≠ مصدر
ب 9	لا ... أفدت	أفدت	فعل منفي ≠ فعل مثبت
ب 10	يضحك	بواكيا	فعل + جمع

تنوعت المادة المكوّنة للمكوّن البلاغي المركزي "الطباق" بتنوّع عيوب المهجور .
 فبعضها أسماء ، وبعضها صفات ثابتة وبعضها الآخر متّحضرّ للفاعلية (اسم
 الفاعل ووزن أفعل الذي يؤكد معنى العيوب والألوان) .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتتواتر معاني الطباق (المعنوي ، طباق الإيجاب ، طباق السلب ...) لتؤلف مع
 هذه الطاقة الإنفعالية الكامنة في نفس المتنبي معنى الانفصال والقطيعة . ويتجلى
 ذلك في حضور فعل لاح الذي يتوسط كلمة شخص (مادي) وكلمة مخازيا
 (معنوي) وفعل لاح يستجمع معنيين : البعد في مستوى المسافة الزمانية والبعد
 في مستوى المسافة المكانية .

فهذه المقولة السياقية : « أشخصا لحت لي أم مجازيا » تستحيل لقطعة أو
 صورة مغتصبة من " ألبوم " كافور ومذكراته المفقودة . وهذا الدليل اللغوي " لاح "
 ينقلنا من البعد / الغموض والضبابية في الرؤية إلى تقريب ذلك الموصوف . وكلّما
 اقتربنا من النص - بما هو انتشار الدال - زاد المدلول وضوحا فلم يعد كافور

شخصاً آدمياً بل ظهر كتلة من المخازي هو باختصار " شيء " .
 فالقارئ يجد في النص الشعري تقاطعا حاداً وتنافراً كبيراً بين خطّين : خطّ
 دياكروني / زمني يفرق في ماضي المهجور وينبش تاريخه ويتصفّح أيامه الخوالي
 عندما كان عبداً يبيع الزيت . وخطّ ساكروني / أني من خلال الإكتفاء بلقطة
 تذكارية في لحظة من لحظات تاريخية عاشها كافور واحتفظ بها المتنبي ليوم قد
 يحتاج فيه إلى مثل هذه الصورة / الوثيقة .

ويمكن كذلك دراسة الصفات وفق محور آخر :

– صفات تتصل بالمهجور :

أميناً – أخلاقاً – غدرًا – خسة – جبنًا – مخازيا – ذا نعل – حافيا – لونك – أسود
 الجهل – أبيض – صافيا – تخييط كعبك – شقّه – مشيك – ثوب من الزيت – عاريا –
 مسرورا – لا خيرًا أدت – مشفّريك – مثلك – ليضحك – ربات الحداد – البواكيا –

– صفات تتصل بالشاعر :

الرضى – خافيا – لا عنك راضيا – ابتساماتي – ضاحك من رجائي – مادحا –
 هاجيا – منشد –

إن هذا الزخم من الصفات التي اختصّ بها كافور (حوالي 23 صفة) تنفي
 عنه نقيًا تامًا صفة الشخصانية ، فالشاعر يستفرغه من كلّ ما لفّه به نفسه من
 مغالطات ذابت كلّها وانكشف منه ما كان مخفيًا .

العيوب الجسمية :

تبدو صورة كافور الإخشيدي مجردة من كلّ المظاهر البشرية فإذا به يشبه
 الحيوان في عظم مشفره ، فتارة يكون في هيئة كلب أو غراب وتارة في صورة قرد
 أو كركدن .

هذه المعاني التي وصف بها المتنبي كافوراً نجدها في غير هذه القصيدة ولكنها
 تمثل امتداداً لأراء الشاعر ومواقفه منه . ومن الأبيات الشائعة قوله :

– جاز الالئ ملكت كفاك قدرهم ** فعرفوا بك أن الكلب فوقهم

- كَانِ الْأَسْوَدُ اللَّابِي فِيهِمْ ** غَرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَيُومٌ
 - وَأَنْ ذَا الْأَسْوَدِ الْمُتَنَبِّي مَثَلُهُ ** تَقْطِيعُهُ ذِي الْعِظَارِيطِ الرَّعَادِيدِ
 - وَشِعْرٌ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرْكَيْنِ ** بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرَّقْسِ
 واعتناء المتنبي بهذه الصفات الجسدية كالسواد وغلظ القدمين وتشقق الكعبين
 والخصاء ... من شأنه أن يحدث لدى السامع إحساسا بالقرف والغثيان بل يتحوّل
 المهجور إلى حيوان متوحش ، بشع ، عنيف ، وهكذا مرّ كافور عبّر القصيدة
 بمراحل ثلاث (شخص — شيء — حيوان)

العيوب النفسية :

إذا كانت العيوب الجسدية تنفي آدمية المهجور ، فإنّ المعاني التي تتواتر في رصد
 العيوب النفسية عديدة جداً ومن هذه الصفات التي وردت في هذه الأهمجية ،
 الاغترار والعري والغباء والجهل والمذلة . هو لفرط عيوبه أصبح يضحك ربّات
 الحداد وقد ذكر في موطن آخر بيتاً في غابة السخرية والإقذاع :
 أَوَّلَى اللَّثَامِ كَوَيْقِيرٍ بِمَعْدَرَةٍ ** فِي كُلِّ لَوْنٍ يَعْضُ الْعُذْرُ تَقْنِيدُ
 فنقمة المتنبي شديدة على أصاغر الناس وإن تعاضلوا والغرض من هذه الصفات
 النفسية ، هو الوقوف على عيوب الإنسان والفرد والمجتمع عامة ، وعندما يهجو
 الشاعر كافوراً ، فهو يهجو النموذج البشري المذموم . وهذه الفئة من الناس هي
 التي صادفت من الدنيا حظاً عظيماً واستنقوت رغم صغر نفوسها ووضاعة مقامها .
 فأراد أبو الطيّب أن ينقّر الناس من هذه الأخلاق والسلوكات .

العيوب الإجتماعية :

حاول المتنبي أن يتقصّى في مهجوريه مواطن الوضاعة حتّى يذكرهم بماضيهم
 الحقيير وينقل للقارئ تاريخهم القاتم ويكشف عن فراغهم من العلم والأصل

ثنائية الخيبة والأمل في وطنيات الشابي

بقلم : الأسعد بن حسين

مدخل : عام للمسألة
1) الخيبة في وطنيات الشابي
* تجليات الخيبة:

أ - واقع الاستعمال وخطرة المستعمر

ب - جهل الشعب وخضوعه

ج - إستقالة المثقف ورجل الدين

ARCHIVE : مجازات الخيبة :

<http://chivebeta.schrit.com>
1- الإستعمار / الظلمة

ب - المستعمر / الطاغية

ج - الشعب / الضعيف

د - الشاعر / طائر مكسور الجناح

* تأثير الخيبة في الشاعر :

أ - اللجوء إلى الطبيعة

ب - التلميح دون التصريح

ج - التحريض

الأمل في وطنيات الشابي :

1- التعبير الفني عن الأمل : أ - الشعب ب - المستعمر

الخيبة .. الأمل ... في القصائد الوطنية للشابى

* مدخل :

أنتى لدارس شاب أن يجرؤ على ولوج عالم شاعر كبير كأبي القاسم الشابى ؟ !! وما الذى سيضيفه إلى كمّ الدّراسات الهائل الذى تجمع طيلة ستين سنة من وفاته ؟ !!! هذه الأسئلة وكثير مثها ألحت على حين رغبت الاشتغال على قصائد شاعر تونس الأوّل ... لكنّها لم تستطع إثنائى عن عزمى لأنّ إيمائى راسخ بأنّ النصّ الأدبى مهما وقع الاشتغال عليه نقدياً يبقى قابلاً لمزيد الدّراسة وإلقاء الضّوء عليه خاصّة إذا كان : " غنياً ومفتوحاً " (1) خاصّة وأنّى أزعم الابتعاد عن مجالات قد استهلكها نقاد آخرون بما فيه الكفاية : الغزل + الرومنطيقية أو الخيال والأبعاد الفنيّة ... ذلك أنّى سأسعى للكشف عن الخيبة وتجليّاتها الفنيّة والمضمونيّة وارتباطها بالأمل فى قصائد الشابى الوطنيّة ... ولم أشأ أن أعنّون مداخلتى ب : جدلية الخيبة والأمل لعوائق منهجية تحول دون ذلك ... ولقد اخترتُ جزءاً معيناً من ديوان " أغاني الحياة " محبباً إلى نفسى كلّ تونسيّ وهو جانب القصائد الوطنيّة ... (12 قصيدة تقريباً) ولكن لم أكتف بها ذلك وجدتُ قصائد أخرى وإن لم يكن مضمونها وطنياً فإنّ بعض أبياتها أو الرموز المستخدمة فيها تحيل على الخيبة أو على الأمل ...

* * الخيبة * فى وطنيات الشابى :

نقصد بالخيبة ذلك الواقع الالم الذى كانت تعيشه تونس وشعبها فى تلك الحقبة التاريخيّة (ما بين الحربين) والأذى وعى به الشّاعر وانعكس يأساً أو نفقة عنده ، فحاول أن يواجه أسبابها وأن يفضحها ...

تجليّات الخيبة :

تتجلّى الخيبة فى قصائد الشابى الوطنيّة فى عدّة مظاهر لعلّ أهمّها :

1 - واقع الإستعمار وخطورة المستعمر :

وعى الشابي باكراً أن ما تعانيه تونس من فقر وجهل وتخلف إنما هو ناجم بالأساس عن هذا الجسد الغريب الذي أراد غرس نفسه في أرضها لذلك قام بفضع المستعمر وحالة الاستعمار التي يعيشها الوطن العزيز :

لستُ أبكي لعسف ليل طويل ** أو لربع غدا العقاء مَرَّاحَهُ
إنما عبرتني لخطب ثقيل ** قد عرانا ولم نُجِدْ مَنْ أَزَاحَهُ (2)
إن تواصل إقامة المستعمر بتونس واستغلاله لخيراتنا مسألة ولدت خيبة كبيرة في نفس الشاعر وكان طول الإقامة يعين على نسيان الأمل في الانعتاق ... لذلك أصبحت الدنيا أمامه : " ديجور مصائب مظلّم ، وسيل رزايا جارف وصار وجه الدهر أَرِيدُ قَاتِمًا " (3) ... ولعل ما زاد في سوداية المشهد وشعور الشابي بالخيبة قوّة المستعمر وغلطته ممّا دفعه إلى وصفه :

أيّها السّادرُ في غيِّه ** يا واقفاً فوق حطام الجباه (4)
إنّه وصف بين التعمّت والدُمويّة ، هذا المستعمر يقوم بشتّى أنواع القمع والوحشية من أجل تكريس احتلاله للبلاد ... لذلك فإنه لم يكفّ نشر الجهل والخوف بين عامّة أفراد الشعب بل تجاوز ذلك إلى اضطهاد المصلحين والتّككيل بهم وزجّهم في السّجون والمنافي أو حتّى الإقدام على تقتيلهم وتشريدهم :
كلّما قام في البلاد خطيب ** موقظ شعبه يُريد صلاحَهُ
ألبسوا روحه قميص اضطهاد ** فأتك شاتك يردّ جمّاحَهُ
أخمدوا صوته الإلهي بالعسف ، أمانوا صدّاحَهُ وتوّاحَهُ
وتوخّوا طرائق العسف والإرّ ** هاقِ توّاً وما توخّوا سمّاحَهُ (5)

جهلُ الشعب وخضوعه :

إنّ نقمة الشاعر على المستعمر جعلته ينقم على أسباب بقائه ولعلّ أهمّ تلك الأسباب انعدام الوعي عند عامّة الشعب بسوء الحال وضرورة مكافحة هذا الأجنبي الدّخيل فيحوّل ثورته في أحيان كثيرة على زمرة الخاضعين الخائعين من

الشَّعْبُ نَاعَتَا إِيَّاهُمْ أَسْوَأَ النَّعَوَاتِ :

أَنْتَ رُوحٌ غَيْبِيَّةٌ تُكَرِّهُ النُّورَ ** وتقضي الدَّهْرَ في لَيْلٍ مَلْسٍ
أَنْتَ لَا تُدْرِكُ الْحَقَائِقَ إِنْ طَافَتْ ** حَوْلِكَ دُونَ مَسٍّ وَجَسٍّ (6)

إنَّ أيَّ شعبٍ في العالم هو الوحيد الحامل تحرُّرٍ وانعتاقٍ بلاده لكنَّ الشَّاعِرَ يصاب بخيبةٍ جديدةٍ إذ يرى حَلَّةَ شَعْبِهِ إِنَّهُ مَيِّتٌ أَوْ يَكَادُ (تَهْدُ الْقُبُورُ رُءُوسًا بِرُمْسٍ) بَلُّ إِنَّهُ يَتَحَوَّلُ إِلَى سِنْدٍ وَأَيَّ سِنْدٍ لِلْمُسْتَعْمَرِ وَذَلِكَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ دَعَوَاتِ الْمُصْلِحِينَ وَالْوَطَنِيِّينَ مِنْ أَمْثَالِ الشَّابِيِّ (أَهْرَقْتَ رَحِيقِي وَدَسْتِ يَا شَعْبُ كَأْسِي) ... لذلك كَرَّسَ جَانِبًا آخَرَ مِنْ قِصَائِهِ لِفَضْحِ مَعَاسِيَتِ هَذَا الشَّعْبِ وَخَاصَّةً إِدْمَانِ بَعْضِ أَفْرَادِهِ لَاقَةِ التَّكْرُورِيِّ :

يَا قَوْمُ ! عَيْنِي شَامَتْ ** لِلجَهْلِ فِي الْجَوْنَارِ
تَلْقِي الشَّدِيدَ صَرِيحًا ** تَبْقِي الْأَدِيبَ جِمَارًا
مِنْهَا الْغَضَاءُ ظَلَامٌ ** وَالنَّاسُ مِنْهَا سَكَّارَى (7)

استقالة المثقَّف ورجل الدين :

وَلَمْ يَكْتَفِ الشَّاعِرُ بِنُجْبِيَةِ النَّقْدِ التَّقْرِيعِ لِأَفْرَادِ الشَّعْبِ وَإِنَّمَا هَاجَمَ أَيْضًا نُخْبَةَ السَّاكِنَةِ الرَّائِدَةِ الَّتِي تَكُنْ تَقُومُ بِوَاجِبِ التَّوَعِيَةِ وَالتَّحْرِيسِ ... إِنَّهَا الْخِيْبَةُ الَّتِي سَبَّبَهَا الْمُثَقَّفُ وَرَجُلُ الْعِلْمِ :

أَنْتَ الْكَوْنُ قُوَّةٌ لَمْ تُسْئَلْهَا ** فِكْرَةً عِبْقَرِيَّةً ذَاتُ بَأْسٍ (8)

الْمُثَقَّفُ هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ " يَسُوسَ هَذِهِ الْقُوَّةَ الْخَفِيَّةَ الْكَائِمَةَ فِي الشَّعْبِ ذَا رِبْطِنَا هَذَا الْمَجَالِ بَعْضُ مَا وَرَدَنِي مَذَكَّرَاتُ الشَّابِيِّ عَنِ النَّادِي الْأَدَبِيِّ وَهَجَرَاتُ " الْمُثَقَّفِينَ " لَهُ نَعْلَمُ مَدَى الْخِيْبَةِ الَّتِي وَلَدَتْهَا مَقَالَتُهُمْ عِنْدَهُ ...

الْخِيْبَةُ تَقْرِيْبًا أَحْسَهَا شَاعِرُنَا وَهُوَ يَرَى رِجَالَ الدِّينِ كُلَّ كَوْنٍ سَاكِنًا أَمَامَ مَا كَانَتْ تَقُومُ بِهِ السُّلْطَاتُ الْفَرَنْسِيَّةُ مِنْ عَمَلِيَّاتٍ تَنْصِيرٍ وَ " تَصْلِيْبٍ " لِلْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ :

سَكَّتُمْ حِمَاةَ الدِّينِ سَكَّةً وَاجِرَ ** وَنَمَتُمْ بِعِلِّ الْجَفْنِ وَالسَّيْلِ دَاهِمُ
سَكَّتُمْ وَقَدْ شَعَمْتُمْ ظَلَامًا غَضُونَهُ ** عَلَانِيَةً كَفَرًا ثَائِرًا وَمَعَالِمُ (9)

أنها خيبة مؤثرة كثيرا في نفسه ، ألم يكن زيتوني التحصيل !!! لذلك لا نستغرب
إغلاظه في التهجم على " العلماء " بل والدعاء عليهم : (لَحَى اللَّهُ مَنْ لَمْ يَسْتَشِرْهُ
حَمِيَّةٌ عَلَى دِينِهِ) ...

مَجَازَاتُ الْخَيْبَةِ عِنْدَ الشَّابِيِّ :

هذا الشعور بالخيبة حثَّم على الشاعر تَعَامُلًا فَنِيًّا مَعِينًا معها في شعره مما
أكسبه قاموساً خاصاً به نرى أَنَّ العديد من الَّذِينَ تعاملوا مع نصوصه لم يُولَوْهَا
كبيراً اهتمام رغم أَنَّها بلاغياً مجازاتٌ واضحة وبسيطة سنحصرها في النقاط
التَّالِيَةِ :

1 : الإِسْتِعْمَار / الظُّلْمَةُ :

نادراً ما تذكرُ كلمة الإِسْتِعْمَار عند الشَّابِيِّ ذلك أَنَّهُ استعاضَ عنها بمَجازٍ
ب (استعارة / كناية) هي الظُّلْمَةُ وإحدى الكلمات الحافّة بها مثل : اللَّيْلُ ،
السَّوَادُ ، الظُّلَم ... :

إِنَّ ذَا عَصْرٍ ظَلَمَ (10)

لَا بَدْءَ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلِيَ (11)

ب : المُسْتَعْمَر الطَّاعِيَّة :

يستعمل الشاعر عدّة نعوت يصف بها المستعمر ولكنَّ النُّعْتَ المحبَّب إلى نفسه
هو " الطَّاعِيَّة " ولعلَّ ذلك ما جعله يعنون قصيدتين من قصائده .

ب : إلى الطَّاعِيَّة + إلى طغاة العالم ... ونرى أَنَّ في حديثه عنه يستخدم حوَّانَ
مجازات الإِسْتِعْمَار أي الظُّلْمَةُ :

أَلَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمُسْتَبَدُّ ** حَبِيبُ الظُّلَمِ عَسَلُوا الْحَيَاةَ

سَخَرْتَ بِأَنَاءِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ ** وَكَفَكَ مَخْضُوعِيَّةً مِنْ دِمَائِهِ (12)

الشَّعْبُ / الضَّعِيف :

يكثرُ الشاعر من تعداد النُّعُوت السُّكْبِيَّة لشعبه لكنَّ أكثرها تكررًا كُلُّ مَا أَحَالَ
على الضَّعْف والوهن : (سَخَرْتَ بِأَنَاءِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ (13) أَوْ الْمَوْتَ (أَنْتَ حَيٌّ

يقضي الحياة برمس (14) ... إنّه ببساطة شعب جاهل لأحوال له ولا قوّة قنع
بالرّضوخ لمشيئة المستعمر ...

الشّاعر / طائر مكسور الجناح :

في حديثه عن نفسه وعن علاقته بشعبه يكثر الشّاعر من التّعوت المحيلة على
الجانب الرّساليّ عنده (النّبيّ المجهول / الخطيب / المصلح ...) ولكنّه ربّما بخيار
رومنسي يفضل صفة العصفور أو الطّائر ... لقد تعلّق شعبه كثيرا بأدران الأرض
وربّما حاول أن يرتفع إلى السّماء حيث النّقاء والطّهارة :
أسكّتوا صدّاحه ونواحه

(3) تأثير الغيبة في الشّاعر :

أمام الغيبيات المتوالية نجد عند الشّابّي ربود فعل ثابتة ورئيسيّة في شعره
ويمكن أن نحصر ربود الفعل هذه في ثلاثة هي على التّوالي :

1 : اللّجوء إلى الطّبيعة / العزلة :

كثيرا ما أعرب الشّابّي عن بأسه ورغب في ترك الشّعب / المدينة للالتجاء إلى
حضن الطّبيعة الأرحب : الغابة حيث يلتحم بالعناصر الطّبيعية : النّبات ، الحيوان ،
المياه ليعيش حياة محبّبة إلى نفسه حياة الرّومنطقيّ الذي سئم النّاس والإجتماع
بهم ...

إنّني ذاهب إلى الغاب يا شعبي ** لأقضي الحياة وحدي بيأس

إنّني ذاهب إلى الغاب عليّ ** في صميم الغابات أدفن بؤسي

ثمّ أنساك ما استقطعت فما أنتَ ** بأهل لخمرتي ولكاسي (15)

إنّه البحث عن النسيان إذن ... إنّه القرار الانفعاليّ الذي يلوح به الشّابّي نوعاً فسي
مثل هذه الحالات إنّها المخرج الفنّي لقصائده اليأس وتكاد تتحوّل إلى غرض ثابت
في أغلب قصائده الوطنيّة .. وتكاد نجزم بذلك لأنّه حتّى في صورة تحقّق هذا
الهروب الطّرفي فإنّ الوطن وحبّ الوطن هو الذي سيطارد الشّاعر في منتجعه الطّبيعي

ب - التلميح دون التصريح :

تشدّدك في " أغاني الحياة " بعض القصائد التي اقتصرت على غرض وحيد هو :
الحكمة ... ولكنها ليست من قبيل تلك الحكم التي لغناها في المدونة العربية كالتي
تميّز بها المتنبي وزهير بن أبي سلمى لكنها حكمة " وطنية " الروح والرموز ربّما
نظّمها الشابي في فترات وعي بالخيبة منعت عنه التصريح المباشر من ذلك :

والنّاس شخصان : ذا يسعَى به قدّم ** من القنوط وذا يسعَى به الأملُ
هذا إلى الموت والأحداث ساخرة ** وذا إلى المجدّ والدنيا له خولُ (16)
أو : فالذي يرهّب الحياة شقيّ ** سخّرت من مصيره الأحداث (17)
إنّه منزع فنيّ أراد به الشاعر أن ينقص من خطابه المباشر ليضفي عليه نوعاً من
الثورية ونرى أنّه ناتج عن حالات وعيه بالخيبة في سبق أن ذكرناها ...

ج - التحريض :

ونقصد به تحريض الشاعر لشعبه على النهوض والرفوض من أجل تحقيق
الاعتناق ، لكنّه تحريض غير منطوق على أمل واضح قد يوهّم به الشاعر شعبه ...
ولكنّه تحريض ناتج عن خيبة وهو سلاح لمواجهة وهو ينقسم إلى جزءين :
جزء يرد في قالب حكمة (داخل القصيدة الوطنية) تحريضية :

ومن لا يحسب صعود الجبال ** يعيش أبد الدهر بين الحفر
ومن لم يعانقه شوق الحياة ** تبخر في جوها واندثر (18)
جزء يأخذ شكل الحثّ والتحريض :

إلى النور فالنور عذب جميل ** إلى النور فالنور ظلّ الإلاه (19) .
إنّها إذن عملية ترغيب يسعى من خلالها الشاعر إلى تحبيب الكفاح ومقاومة
المستعمر إلى نفوس أبناء شعبه ...

الأمل في وطنيات الشابي :

على مستوى تركيب القصيدة عادة ما يكون جانب الأمل في القسم الأخير من
القصيدة إنها تلك النهاية الحماسية التي تشكّل نوعاً من " الخطبة " الوظيفية أي

التي ترمي إلى غاية التَّحريض (هذا إذا استثنينا قصيدة " إرادة الحياة " التي تأخذ غرضاً تفاؤلياً منذ بدايتها) ...

والأمل يرتبط في عدد كبير من هذه القصائد بمعطى الرؤية (شمتُ صباحاً ، تأملُ هنالك ...)

1 (التَّغيير الفنيُّ عن الأمل :

لئن رأينا في السَّطور السَّالفة أنَّ الخيبة تأخذ مجاز الظلمة وحوافها من اللَّيل والسَّواد وما إلى ذلك فإنَّ الأمل يأخذ الصُّورة المقلَّبة فهو : " الصَّباح الجديد / النُّور / الشَّمس / الفجر) ... إنَّه النُّور بكلِّ حوافه وهل خير من النُّور لدفع الظلام ... لمن أسلوب التَّعبير عنه يأخذ شكلين متميِّزين حسب طبيعة المخاطب الذي يتوجَّه إليه الشَّاعر بالخطاب :

الشَّعْب : إذا كان هو المخاطب فإنَّ الشَّاعر يعتمد أسلوب الحثِّ والتَّربُّغ في هذا الأمل فالإلى جانب استعمال صيغة المستقبل القريب : " ستردُّ الأيام يوماً وشاحاً (20) هناك صيغة تحضيض واضح كاستعمال اسم الفِعْل في هذا المقطع : إلى النُّور فالنُّور عذب جميل إلى النُّور فالنُّور ظلُّ الإلاه (20) .

المستعمر : إذا كان هو المخاطب فاللهجة تتغيَّر كلياً لتأخذ أسلوب الوعيد والتَّحذير ... إنَّه أسلوب يرغب من خلال الشَّاعر إلى ترويب المستعمر وإخافته ممَّا ينتظره في قادم الأيام من ثورة مظلومين لذلك تتَّسم جملة بشيء من الحدة :

سيجر فك السَّيل سيُلُ الدَّماء ** ويأكلك العاصف المشتعل (22)

حذار فتحت الرَّماد اللَّهيب ** ومن يبذر الشُّوك يجن الجراح

مهلا ففي أناتٍ من دُستهم ** صوت رهيب سوف يدوي صدها (23)

الشاعر يتحول إلى مبشر طليعي :

الواضح أنَّ الشَّابَّي صاغ قصائده هذه بشكل هندسيٍّ متوازن سعى فيه إلى عدم ترك عواطفه تتغلَّب عليه ... فلئن كانت بداية قصائده بطيئة حزينة تكاد تنحصر في غرض واحد من أغراض الخبر (اظهار الضَّعف) فإنَّ نهاية قصائده تأخذ

بعدا تبشيريا يعتمد في أغلب الأحيان على الإنشاء (حين يكون المستعمر هو المخاطب) وعلى الحثّ والتّحريض (كغرض خبري) حين يكون المخاطب أبناء شعبه ...

إنّ هذا من التّجليات الرّئيسيّة للمنحى الرّومنتيقي الّذي شاء الشّابّي الانضواء تحت لوائه ذلك أنّه اتّحم بواقعه من جهة وكرّس ذكر الطّبيعة ومفاتنتها من جهة أخرى ... إنّ انتصار الجانب الوجداني بالأساس ...

خاتمة :

ما كان للشّابّي - نظرا لوطنيته الصّادقة وانتمائه لعائلة جنوبيّة مناضلة - إلّا أن يقف تلك المواقف الرّائعة الّتي يحفظها التّاريخ به إلى اليوم وسيحفظها إلى الأبد ... فلا نستغرب إذ نقرأ له في مطلع هذا الموشّع :

لَيْتَ شَعْبِي !
أَيُّ طَيْرٍ

يسمع الأحزان تكيي** بين أعماق القلوب
ثمّ لا يهتف في الفجر برّيات النّسيم
بخشوع واكتئاب ؟ (24)

هذا المقطع من موشّع " ماتم الحب " ورد في شكل سؤال إنكاريّ ... ينكر فيه الشّابّي عدم التّحام الشّاعر بواقعه ... الشّاعر هنا طائر ينحب واقع الأحزان الّذي يعيشه وطنه فـ : " حزن المبدع (الشّاعر) أو فرحه مرتبط ضرورة بالمكان (الواقع) " (25) ...

وواقع غير طبيعيّ ذلك الّذي كانت تعيشه تونس في الثّلاثينات ... يحكمها الأجنبيّ وأهلها لا حول ولا قوّة لهم ... لكنّ هذا الواقع أثر في الشّابّي بشكل جعله يهيئ تركيبة فنيّة خاصّة لقصائده الوطنيّة تعتمد ثنائية الخيبة والأمل الّتي نرجو أن تكون قد أوضحناها بما فيه الكفاية فيما سبق عرضه ...

جانب أخير لا بدّ من ذكره وهو أنّ القصائد الوطنيّة للشّابّي في عمومها وردت

في صيغة الإطلاق (الزمكان غير محدد) بشكل يجعل من أبعادها أكثر عمومية
من الواقع التونسي فيمكن للقيم التي تحملها أن تكون إنسانية خالدة يمكن أن
يترنم بها أفراد أي شعب عاني أو سيعاني ويلات الاستعمار %

الهوامش :

- (1) العبارة للنقاد الايطالي إمبرتو إيكو من كتابه : العمل المفتوح * " l'oeuvre ouverte "
- (2) قصيدة : تونس الجميلة
- (3) قصيدة : زئير العاصفة ..
- (4) قصيدة قالت الأيام
- (5) قصيدة :
- (6) " النبي المجهول
- (7) قصيدة : الصبحة
- (8) النبي المجهول
- (9) قصيدة : يا حماة الدين
- (10) قصيدة : تونس الجميلة
- (11) قصيدة إرادة الحياة
- (12) قصيدة إرادة الحياة
- (13) قصيدة : إلى طغاة العالم
- (14) قصيدة : النبي المجهول
- (15) قصيدة : النبي المجهول
- (16) قصيدة : غرفة من يم ص 41
- (17) قصيدة : سر مع الدهر ص 85
- (18) قصيدة : إرادة الحياة ص 236
- (19) قصيدة : يا ابن أمي ص 128
- (20) قصيدة : تونس الجميلة
- (21) قصيدة : يا ابن أمي
- (22) قصيدة : إلى طغاة العالم
- (23) قصيدة : قالت الأيام
- (24) قصيدة : مائم الحب ص 43
- (25) غاستون باشلار : جماليات المكان ...





وجع النشيد

شعر : محبوب العباري

عَامَانِ لَمْ أَكْتُبْ نَشِيدًا وَاحِدًا
عَامَانِ يَا وَجعي ، وَيَا وَجع النشيدِ
عَامَانِ تَشْتَعِلُ الْعِبَارَةُ فِي دَمِي
فَإِذَا هَمَمْتُ بِهَا تَصِيرُ إِلَى جَلِيدِ
مَا لِلْعِبَارَةِ أَصْبَحَتْ كَحَبِيبَتِي

أَدْنُو أَنَا مِنْهَا فَتَمُوتُ فِي الصُّبْحِ
وَأَنَا الَّذِي عَلَّقْتُهَا ، وَعَشَقْتُهَا

مِنذُ الْقَدِيمِ مِنَ الْوَرِيدِ إِلَى الْوَرِيدِ
سَمِعْتُهَا عِشْقِي الْأَخِيرَ ، وَقَبْلَتِي

وَرَسَمْتُهَا خَالًا عَلَى خَدِّ الْقَصِيدِ
مَا زِلْتُ أَسْقِيهَا عَتِيقَ مُدَامَتِي

وَتَصِيحُ بِي هَلْ فِي جِرَارِكَ مِنْ مَزِيدِ
فَازِيدُهَا وَأَزِيدُهَا وَأَزِيدُهَا

قَدَحًا عَلَى قَدَحٍ عَلَى قَدَحٍ جَدِيدِ
حَتَّى إِذَا ثَلِثْتُ وَأَشْرَقَ عُودُهَا

تَرَكْتُ يَدَيَّ وَقَبْلَتُكَ كَفَّ الْغَرِيبُ

وجع الأسئلة

شعر : صلاح الدين الحمادي

وردٌ

يحث العاشقين على العناق ،

رفضٌ ...

يفتش عن نظام يشتريه

قلقٌ ... وتيه .

أقلامنا التهمت كراريس عديده

كنا نعدّها باعتناء فائق للإحتراق .

من يوقظ الموتى إذن

ليحرروني من السؤال ؟

من يسقي صحراء البلاد

كي تنبت الأزهار من وهج الرمال ؟

ومن سوف تسرق نفسها ؟

لتزورني ليلا

حين يشتد إلى النهدي اشتياقي .

* * *

دنيانا تسبح في التناقض يا « انتظار »

ماء ... وباقية جلنار ،

أثناء الحصار ،

فهل تعرفين لماذا أبحث عن نقيضي ؟

ولماذا أرحل دائما ؟

كالماء لا يدري

إلى أين تحمله الجداول والسواقي

* * *

قد مجني الأصحاب

وارتد الخليل

والأهل كل الأهل

إصطفوا وراء الجرح

يبغون التزود من دمي

ليواجهوا السفر الطويل

وأنا أحاول أن أكون المستحيل

أجري وراء سفينة الإخلاص

في زمن النفاق .

* * *

أنا ، أحاول أن أكون المستحيل

وأن أجيئك بالجديد

أنا كلما حاولت أن أتيك

ممطتيا قصيدي

أقعدتني قواعدُ اللّغة القديمة في مكاني

فلماذا يسجنني زمني ؟

ومتى سيقبل يوم عيدي ؟

هذا زمان فاسد

زمن الجحود .

هذا زمان الإغتراب / الإضطراب / الإكتئاب /

الإنسحاب من الصّحَاب / الإنتساب إلى الذّئاب /

الإقتراب من السراب / الانقلاب على الرفاق ،

هذا زمان الإفتراق

بالرغم من أن الوجود

تستحثّ العاشقين على العناق

التَّحْدِي

شعر : عمر العبيدي

* الإهداء : إلى الصديق محسن الكريفي

أنا لن أعيش بأرضهم مهما انحنى
الله أنشأني كأحسن ما رأى
وأقيم بين جفافل من نسلهم
متردداً في حيرة لا تنتهي
النار أحييتني وأنت وميتني
وقهرتني بالحب يا قلبي أنا
قد كنت أدنو من سماء نبوتي
ورميتني بالعشق بين جوانحي
ياقاتلي ! - ويغير ذنب - عندما
أترك تهنأ الوغى قتيلاً
أبداً أموت فعند روعي في الرؤى
ومن البروق الصاعقات نواظري
ومن الحديد الصلب نبض إرادتي
" سيزيف " جدِّي إن جهلت كتابتي
فأعلم بأنك إن غدت أسيرها

قلبي ، وذلت أعيني لدموعي
قلم أشوه خلقه بخضوعي
ضمن أن أسقي الكل من ينبوعي
الإروحي كاره لضلوعي
فوق جليل مدطى لشموعي
أحببت روحاً تائقاً لرجوعي
فعلام سخرت الهوى لوقوعي
أطفأت ناري مذ سكبت دموعي
دثرتني بالليل قبل طلوعي
أم تشتهي ذلي ، تحب خنوعي
أثواب حيات تحيك بدروعي
ومن الجبال الشاهقات فروع
أبداً ينوء بصخرها المدفوع
قهر الوجود برأسي المرفوع
فلقد جمحت بنا إلى المنوع

بيان من محكمة أمن العامة

بقلم : عبد المجيد النفزي

الإهداء : إلى التي نكثت نذرهما

نبي ... يَخَاتِلُ شُرْطَةَ الْأَفْرَاحِ
وَيَخْتَلِسُ !!
وَيَقَانِصُ فِي أَعْيُنِهِمْ أَفْرَاحًا
لَمْ يَصَادِرْهَا الْعُسُ
يَأْوِي إِلَى غَارٍ ، يَدْعُوهُ وَطَنًا
وَيؤسُّسُ مَا يَشْبَهُ مُمْلَكَةً

<http://ArchiveBeta.Sakh.net>

لكن الصفوة ، منهم نواظيرُ ، حرسُ	يَسْتَضِيئُ بِنَارِ بَيْنِ جَوَانِحِهِ
يَقْتَعِلُونَ نَوَاصِيَ فَرْحَتِهِ	وَيَسْطُرُ قِرَاءَنَا عَجَبًا
ومنايعَ دهشته	يَهْدِي إِلَى الْحُبِّ
فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنْ شَيْعَتِهِ أَحَدًا	وَأَنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ نَفَرًا
فَضْرَبَ الرِّقَابِ	يَدْعُوهُمْ صَحْبًا
وَأَمَّا الشَّاعِرُ	تَشْرَبُ الْخَمْرَ شَرِيعَتَهُمْ
فَيُرْجَمُ غَدًا	تَطْلُبُ الْعَشْقَ ذَرِيعَتَهُمْ
وَصَلَبُ عَلَى مَقْصِلَةِ الْيَوْمِ الْوَاقِعِ !	يَثْلُو الْوَاخَةَ فِي الْأَسْحَارِ

لارا و البحر

شعر : نرسييس الحسيني (العراق)

من الليل أبدأ ، لا من القبر

أكبس كل شعاع

أطلق رصاصي المذنب

أنا أحب ..

لارا نفق أبلعه

إنها أرض تطأ ترابي

هي خضراء كهذه الحرب

تبذر النار بين أصابعي

تحب موج الشعر

أكره تعرجات الرمال

عواطفي بحرية ..

ضحكتي خضراء ، وحزني أزرق

سأترك أثري على البحر

وأضيب الغبش

- في البحر هناك أنا - أذهب إليه

- في البحيرة هناك أنت - أتركك لي

- في هذه الصحراء لا أحد
القفار تشكك بعشب صدري

ربما يتجمدون ..

وحين أغلي يقال :

أنت فقاعتي الغرامية

أنا أبو الهول ، لو لا الرياح

تبرش صلابتي ،

وتنثرها بحقل الملل

القلق يدجن انسحابي

تفقس الدموع ..



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakimil.com>

على بلاد مؤقتة

عيني مجففة بالنعاس

البئر لا يشرب البحر ،

ولا يقمع العجاج

لارا تشعل الفانوس ..

عندما تكون الأرض سريرا وسقفا

إنها الصحراء أيتها السمكة

وَمَضَاتُ صَغِيرَةٌ

صُبْدَرُ مَكِّي (العراق)

أَلَمْ- يَكُ مُمْكِنًا -

أَنْ يُتَأَخَّرَ رَحْبُوكِ

عَامًا ،

حَتَّى أَرَى وَجْهَ مَدِينَتِي الْآخِرِ

- 2 -

خَرِيفُ الصَّيْفِ الْقَادِمِ-

يَهْرِبُ عَجِيبًا

مِنْ زُفُورِ الْحَدِيقَةِ السَّوْدَاءِ .

أَنَا لَمْ أَزِدْ الشُّوْكَ

يَوْمًا .

ARCHIVE

<http://Archive.org>

وَلَكِنِّي انْتَصَرْتُ عَلَى إِبْرِيْقِ الْمَاءِ الْهَرَمِ

وَذَبَحَ زَهْرَتِي الْبَيْضَاءَ

- 3 -

لَوْ كُنْتُ - أَسْتَطِيعُ - أَنْ أَحْوِي

الْعَالَمَ

بَيْنَ سَطْرَيْنِ ،

لَكُنْتُ الْآنَ أَبْحَثُ عَنْ وَرْقَةٍ

- 4 -

الآن . . .

يَبْحَثُ عَنْ مَعْرَكَةٍ

إِنْ الرِّوَاثِي عَبْدُ الْأَمِيرِ لَوْلَايِدْ

شَعْرَكَ الشَّائِبِ الْهَرَمِ

* ثوبي الحزين *

شعر : منير بن يونس

لم يجد دمعهُ ملجأً	رث
غير خدي	ثوب حزنِي
يا حما ثم الروح	لكني ..
كيف صرت أنا ...	أمضي في سيري
ضدي	خلف جبتي

* * *

أودّعها ..	ثم أودّعها ..
أين الطفل الذي كنته	ثم أودّعها ..
ثم خنته	ثم أودّعها ..

أصبح عاشقا ..	أدري
والقلب حطبا	* * *
يشعله وجدي ؟	عودي صغيرتي
عودي صغيرتي	فالحلم
فالحلم ما زال طويلا !!	ما زال طويلا
وذاك القمر ..	وهذا القمر
خبائثه لك عندي !!	ما زال يضيء عويلا

الْحَبْثُ وَالسَّقَرُ

يُنَا يُنِي الثَّمَنُ عِنْدَ السَّقَرِ
يُعَذُّ بَنِي الْبَرْدِ ...

وَقَعْدَ الْمَطَرِ

طَوِيلٌ طَيْرِي

وَحُلُمِي لِقَاءَ الظُّفَرِ

تَوَارِي سَرِيحًا

طَوَاهُ قَطَارُ السَّقَرِ

كَتَلُ الثُّبُوتِ ...

كَتَلُ الدُّرُوبِ ...

كُحُفُ الشَّجَرِ

دَحَلْتُ الْمَدِينَةَ وَقَتَ الْمَجَرِ

تَأَقَّلْتُ حَوْلِي

لَقَدْ نَاءَ حُلُمِي ...

لَقَدْ صَاعَ عُمْرِي ...

لَأَنْكَ غَبَتَ غَيَابَ الْعَمْرِ

شعر : هَوْرًا الشَّرَادِي

٩٢ / ٤ / ١١

نجمة صبيح تتهاوى

بقلم : علي العمري

لَمْ تَخْتَفِ النُّجُومُ المتلألأة من السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ في تلك اللَّيْلَةِ الخريفية التي اختفى فيها المنسيّ . وَلَمْ تَكْفُ النِّسَمَاتُ عن لَمْسِ أوراقِ الأشجارِ لَمَساً خفيفاً رقيقاً ناعماً كعَذْبِ الموسيقى . وَلَمْ تَتَوَقَّفِ المقاهي عن بثِّ أغانيها إِلَّا في سَاعَةِ متاخّرة من اللَّيْلِ . وَلَكِنْ رَعْدَةٌ خفيفةٌ سَرَتْ في أجسادِ لاعبي الورقِ والعائدين من الأعمالِ اللَّيْلِيَةِ لما انقطع النُّورُ عن الشارعِ مرَّاتٍ متتاليةً .

لَمْ يُخَمِّنْ أَهْلُ الْحَيِّ كَثِيراً لِيَعْتَبِرُوا ذلك نَذِيرَ شُؤْمٍ ، وشبه أحدهم الحادثة بنعيقِ اليومِ في ليلةٍ مقتلِ « حمدان » سائقِ التاكسي .

لَقَدْ مرَّتِ السَّاعَاتُ في اليومِ الموالي . رتيبةً . غارقةً في التَّشَابُه ، بَدَتْ الحَيَاةُ عاديةً تماماً : نفسِ الحركاتِ ونفسِ الأصواتِ ونفسِ القلقِ الجاثمِ على رُوحِ الْحَيِّ . لم يفكر أحدٌ أن حدثاً ما غريباً وَقَعَ أو أن حكايةً ما انفجرتِ قَعَقَعَتُهَا في ظِلْمَةِ الْحَيِّ الحالكة . حتّى صَبِيئَةُ المدارسِ سَيَّرَهُمْ نحو مدرستِهِمْ ، وأطلقت نسوة الْحَيِّ صِيَاحَهُنَّ الصُّبَاحِيَّ المعتادَ .

وَفُتِحَتِ الشُّرَفَاتُ لتخرُجَ من الغرفِ رائحةُ الدُخَانِ الزَّنِخَةِ ، وأنهى المصلُّونَ صلواتِ الصُّبْحِ في الجامعِ الكبيرِ . وكانت بناتِ المَعْلَمِ قد وصلنَ بَعْدَ إلى مركزِ عملِهِنَّ . وتبادلَ " الشَّعْبُ " التَّحِيَّاتَ ثم غرقوا في كَسَلِهِم اليوميِّ . وهُم يشرَبون قَهْوَةً مُرَّةً أو يدخِّنون سِجَّارَةً رديئةً .

غَيْرَ أنْ الأُمُورَ جَرَتْ مَجْرَى آخرٍ مختلفاً عندما لاحظَ عَمُّ الهادي التَّاجِرَ الطَّيِّبَ أنْ " حاتمِ المرزوقي " معلِّمُ الصِّبْيَانِ كان يقفُ حائراً مُجِيباً عَيْنَيْنِ بَرَّاقَتَيْنِ في الفضاءِ المحيطِ بالمدرسةِ . كانت الحيرةُ ترسمُ على وجهه الصَّغِيرِ . وكانت حَبَّاتِ

عَرَقَ صغيرة تنزلق من على جبهته لتسقط على أنفه المدبَّب ثم تستقر على شاربِه الكَثِّ . كانت نظراته تجول في المكان ثم سرعان ما تتردَّد إلى مستقرِّ لها تحت الجدار المقابل ، في ذلك المكان الذي كان " المنسي " يجلس فيه كلَّ صباح يدخِّن سجاثره ويصنمُ . وكان تلاميذه ينظرون إلى وجهه ولا يفهمون أيَّ شيء .
ويعدُّ ساعة بالضبط سرى الخبر في الحي صاعقًا . وبدا للمرة الأولى منذ سنوات أن الحي ينفذ عنه الغبار وينزع عن كاهله أسترة الكسل ليفرق حتى أذنيه في الحكاية الجديدة .

- لقد إختفى " المنسي " من الحي !

- لم يره أحد منذ الليلة الفارطة ..

- ألم يعثر أحد على خيط يقود إلى طريقه ؟

- الشرطة تحاول ، ولكن الأمل بدأ يضعف .

وبدأ « العارفون » في تفسير تلك الرعدة التي أصابت رواد المقهى في الليلة الفارطة . وحاول البعض أن يثبت أن حادثة لا يحيط بها بيتها اكتفى الآخرون بتمتمات لا معنى لها . ثم عادوا إلى أعمالهم وكان أمرًا لم يحدث .
واستسلم أهل الحي بعد زمن قصير إلى الحقيقة : لقد غاب " المنسي " من تحت جدار المدرسة (مكانه الأثير) نهائياً ، دون رجعة ، انسحب من ضجيج المدينة في صمت مثلما جاء إليها ذات مساء حزين .

ظنَّ البعض أنه ألقى بنفسه في النهر المجاور للمدينة أين يختلط الماء بفضلات معمل الورق ، في حين اعتقد الآخرون أن سيارة مخمورة دهستَه في قلب الليل وأن الشرطة ستتعرف على الجثة في مستشفى المدينة ، بعد ساعات . وقال « المبالغون » إلى الاعتقاد بأنه قُتل كما قُتلَ حمدان سائق التاكسي أو اصطاده اللصوص المرابطون في أقصى المدينة ، في ذلك التجويف الرهيب المسمَّى « تجويف الموت »

ولكنَّ الحكاية انسحبت من ذاكرة الحي في أيام قليلة . انزلت ككرة الثلج في

القرار العميق للنسيان . وبدأ كما لو أن ريحاً شمالية جارفة هبت في فراغ الحي
فطوّحت بالفتى بعيداً إلى ممالك الموت : تلك الممالك التي تفتت الريح وتندروها في
الفضاء نسيّاً منسياً .

عاد الحي إلى صمته الجارف وبدأت الحكاية غير حرةٍ بالمتابعة . انزلق الشباب
في تفاصيل حياتهم اليومية ، يدخلون ويلعبون الورق ويثرون ويربّار يذهبون
جماعات مساء السبت إلى خمارة القفصي ليقبّسوا زجاجة . وجلس الكهول إلى
أحجارهم يفتنون بها وقتاً قاهراً عاهراً يشري جنولاً من قلق في أرواحهم
وأجسادهم ، بينما بدا الشيوخ يعلقون أيّامهم على حبال مهترنة وينتظرون صفارات
الموت لتدوي في أقبية الأجساد المتعبة التي انهكها الرّحيل .

أي وجه سيذكّرونه في خواء الأماشي الحزينة ؟

أي ولدٍ شريدٍ مستعيدة الريح القاسية إلى أذهانهم ؟

أي ذاكرة متعبةٍ راسيةٍ في قعر الموت ستفتح جراحها لطفلٍ صامت ووحيد ؟

أي عيون مكودةٍ مجهدةٍ ستبصر شبحه في الليالي الكسيحة ؟

لقد كان " المنسي " خيالاً نبت في مخيلة أهل الحي ، كأننا غير محدد المعالم ،
سحابة من ضباب . مزيجاً غريباً من صمتٍ وجنونٍ وحلم .. غيمة من أوهم . كان
شبحاً لا يكاد يرى . يظهر في صباحات الحي ساعاتٍ من الزمن ، تحت جدار
المدرسة ولكن سرعان ما يتلاشى كخيوط دخانٍ . ينوب كحفلٍ من جليدٍ . تغطيه
الأصوات والحركات والأعمال .

لم يكن أحدٌ من أهل الحي يُعيره اهتماماً . كان يبدو لهم مجرد شابٍ شريدٍ
ألفته رياح الصدفة في سماء الحي فانزلق فيها صامتاً . إنهم يذكرون جيداً كيف
جاء إلى الحي في ذلك المساء البارد ترتجف فيه الأوصال لا يحمل متاعاً ولا يكاد
يسمعه منه الكلام . وعدا يوم قدومه فإنهم لا يذكرون عنه شيئاً . لم يسمعوا عنه
حكاية من تلك الحكايات التي تردّد في المقاهي والدكاكين والأعراس .. ولم يروا
يمشي في الأسواق أو يغازل البنات في الحوارية الضيقة لقد كان يكفي بالجلوس

تحت جدار المدرسة . يتفرّس في العابرين والعابرات ، أو يردّ تحية تلميذٍ يحُثُّ السير نحو قاعة درسه ، أو يدخُن سيجارةً في صمته .. لا ينبس ببنت شفة ولا يكلم أحداً إلا في حالات نادرة .

كان « عمّ الهادي » التاجر الطيّب صاحبُ الدكان المواجه للمدرسة يدسّ في جيبه قطعةً من الحلوى وثلاث سجاثر . ويهمس في أذنيه .
- خذ هذا يا « منسي » يا ولدي وادعُ لنا الله .

فينصرف الفتى راضياً ، باسمًا كشعاع دقيق من نور أو كلمع برق في سماء داكنة ويلوح بيده إلى الأعلى علامة امتنان وودّ واعتراف بالجميل . لم تكن تسميّة « المنسي » تغلقه بل كان يتلقاها برضى تامّ . تامّ كأنّها وسام يعلّقه على صدره بالرغم من أنّ أهل الحي كانوا يستعملون العبارة وهو يقصدون إثارتة والإساءة إليه .

وكانت بنات معمل الزبّية الذي يقع في أقصى الحيّ قرب المقبرة يمررن من أمام جدار المدرسة فينظرن إليه . يحقنّ في وجهه الجميل وعينيه البرأقتين وشعره الطويل المرسل ولحيته التي لا تكاد تبيّن ويضحكن ضحكات غير واضحة : خليط من الهزء والتهيّب والرغبة . كنّ يتندرن ببلاهته ولكن سرعان ما كان جماله مهشّم نوافذ كبرياتهنّ الزائف فتهمس واحدة همساً خفيفاً في أذن جارتها :

- أه لو لم يكن " أهبل " لخفضت من أجله حريباً ضرّوساً !
ثمّ تغمر بعينين داغرتين وتمضي ضاحكة تلوّك " علكة " أو تحرك شفّيتها الغليظتين حركات ماجنة .

وكان الفتى يكتفي بابتسامةٍ لا يفهم أحدُ سرّها . ثمّ يغرق في صمته يدخُن سيجارته أو يخطّ يعودُ على التراب الأحمر .

الوحيد الذي كان يجالس " المنسي " ساعات طويلة يحادثه في صوت خفيض هو " حاتم المرزوقي " معلّم الصفّ الرابع في المدرسة . وقد لاحظ أهل الحيّ علاقتهم ، ولكنهم لم يعيروا الأمر انتباهاً . ربّما اعتبروا ذلك ضرباً من الشفقة .

وربما ذهب في ظن بعض الخبثاء منهم أن المنسي ليس إلا رسول المعلم الأسمر إلى بنات الحي .

لم ينتبه شبان الحي وكهوله وشيوخه إلى أي شيء غريب في عرس إبراهيم ابن عمدة الحي ، كان المنسي في تلك الليلة الخريفية يجلس وحيداً في زاوية مظلمة يشرف منها على العرس كشأنه في كل أعراس الحي . كان شاردًا وربما كان حزينا . لعله كان يفكر في البلاد التي غادها منذ سنوات : بلاده .

النسوة كنّ يجلسن وراء العروسين مباشرة ، يثرثن ويغتنن ويصلين على النبي ويتهايمن في تحفظ شديد : ينكرن لباساً أو يتكهمن على مشية رجل أو يثنين على شيخ وقور . لكزت واحدة منهن جارتها مثيرة انتباهها إلى أن الفتى كان يمد رأسه في الظلمة باحثاً عن وجه أمانى أخت العريس من بين الوجوه .

أمانى صبيّة عارمة الأنوثة . لها قد رشيق وصدر عاج ويدان بيضاوان كالشهد وزندان بضآن وشعر فاحم طويل يشدل على كتفها وخصر شفاف كزهرة في ثلج أثارت تلك النظرة ضحكات مكتومة وألهبت خيالاً مجنوناً وأشاعت جواً داعراً بين نسوة أكلهن صدا النسيان . ولكن سرعان ما انقلبت الضحكات إلى همهمات . إلى سيل رهيب من السكاكين الصدنة يفرسنه في صدر الفتى .

همست امرأة طلقها زوجها منذ سنين في اذن جارتها قائلة :

– لقد شوهداً منذ أسبوع في الحقول بعيداً عن المدينة .

تعلقت الجارة :

– حقاً .. تحت الجلد المفرط سم زعاف !

فأردفت الثالثة ملخصة :

– الماجن . ابن الماجنة .

لا أحد من الحاضرين انتبه إلى تلك النظرات الرهيبة التي غرسها إبراهيم في عيون الفتى الضئيل ، غادرة كسكين يقطر نصلها سماً ودماً .

ولقد تردد في المقاهي بعد يوم واحد أن رياح الموت ستهب على روح ذلك الفتى

الذي طوّحت به الريح ذات مساء بارد في سماء الحيّ . فسرت رعدةً حقيقية فسي
الأجساد وعرّشت في الحروق وسكنت النُبض وبوّت في فراغ الجسد .

وبعد أيام قليلة : في الصّباح الثالث من أكتوبر من تلك السّنة التي هاجم فيها
ذبابٌ كثيفٌ "حيّ البساتين " ، اختفى « المنسي » لم يعثر أحدٌ على طيفه . وبدا
كما لو أنّه شبح ظهر في سماء الحيّ ثم اختفى كغيمة خُلف .

وشوهد " حاتم المرزوقي " معلّم الصفّ الرابع بالمدرسة الابتدائية التي تقع على
ناصية " حي البساتين " يجلس تحت جدار المدرسة وحيداً يبكي في صمت ، كانت
عيناه غائمتين ووجهه قطعة رصاص ونظراته زائغة ، وفي المقابل : على الرصيف
الملوّن بالأحمر والأصفر ، كان الشيوخ يثرثرون ويمارحون بعضهم ويسبون الدين .
وفي ذلك الصّباح مرت بنات المعلم : معلم الزيّبة ضاحكات ، ولم تلتفت أيّ
منهنّ إلى جدار المدرسة .

وارتفعت شمس حارقة في سماء حيّ استسلم منذ سنوات للنسيان ./.

ARCHIVE

بقية ما بصيغة 4 | <http://Archivebeta.Sakhril.com>

والشرف ويجرّدهم من كلّ انتماء إلى الآدمية ليقفوا عراة أمام الناس وأمام أنفسهم .

ألم يعيّرهِ بيته المشهور :

مَنْ عَلَّمَ الْأَسَدَ الْخَصِيَّ مَكْرَمَةً ** أَقْوَمَهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاوَهُ الصَّيْدُ
أَمْ أَذُنُهُ فِي يَدِ النُّخَاسِ دَامِيَةً ** أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفِلَسْتِينِ مَرْتَوْدُ
هكذا ظلّت صورة كافور عند الناس كلّهم ، صورة صنعها المتنبّي / الفُتّان ،
العاشق للكلمة ، اكتملت فنون القول عنده والتقت بتدفّق وجدانيّ ، فكانت هــذـه
الاهجيّة لوحة شعرية رائقة ورائعة .

ندوة الواحة في القصة التونسية

بقلم : جنات إسماعيل

خاتمة هي البدء

ستبقى النخلة ذاكرتي

ورأس النخلة عنواني

وبطاقة تعريفني الأولى

وبدء الضوء بأجفاني

عن الدين الشابي *

على هامش فعاليات مهرجان العين الوطني للتنمية والثقافة بالمطوية في دورته
التاسعة انتظمت ندوة الواحة في القصة التونسية بإشراف نادي القصة أبو
القاسم الشابي وبالتعاون مع النادي المطوي للتعارف والتعاون ...

احتفلت الواحة بأبنائها المطلقين عليها في فسحة من الزمن المهرّب بعد أن ساحوا
في شعاب المدينة مشاغل واهتمامات ، حين نادتهم الأم لبوا ... جاؤوا بصورهم
عنها .. بصورة أطفال لعبوا تحت النخل كثيرا وأكلوا بلحه وأساحوا الماء تحت
عروقه .. سقوه .. جاؤوا يطيبون القلب بمرآه بعد أن تصلّب من مرأى الجدران
العالية وشوارع الإسفلت وصور الإعلانات الإشهارية . للواحة جاؤوا يتذكرون بذكورين
القلب والنفض ويشدون الأزر بقامات نخل لا تنتهي أبدا وحتى إن ماتت فهي تموت واقفة .
جاءوا ياتئون الذاكرة بصور الحياة الحقّة حتى لا يخربها الموت من جرّاء
العيش المعلّب هناك .

.. وهل الضيوف مفتونون بواحة قرء وا عنها وتلاحقت الأحاديث عن عطائها
المادني والمعنوي . جاء وا ينشون صورة ملموسة بعد أن عاشت فيهم محسوسة .
وكان أبناء الواحة في الإستقبال ترحيبا شامخا .. عزيزا كشموخ نخل الواحة
وكعزة النخلة على حاضيتها وراعيتها .
كلهم اجتمعوا في الواحة من أجل الواحة ومن أجلهم باختلاف مشاربيهم .

...

سألنا يحي محمد مقرر هذه الندوة :

– لماذا الواحة في القصة التونسية .. أخدمة لها .. أم لنا ؟؟

قال مجيبا : – ندوة الواحة في القصة التونسية لتحسيس الكاتب بالدرجة الأولى ثم
الباحث الدارس لملاحقة العلاقة المتصلة اتصالا فنيا وموضوعيا بأنوات الكتابة
وأساليبها ، قصد تطوير الإحساس بالمنابع النخيلية وتأسيس الهاجس الإنساني
بالمناخ السائل الذي تتراح إليه النفس الحائرة في لجج الصمت والتأمل والمراقبة
وذلك اعتبارا إلى أن قصة الواحة أو قصة القصة هي مسألة ثقافية واجتماعية ،
سياسية سلوكية بفيض فني رفيع المستوى .

<http://Archivebeta.Saknit.com>

وقد أعطت الواحة الكثير للمبدعين دون أن تأخذ منهم زائد الوفاء . في هذا
العصر إلا ما ندر من انتاج يضع الواحة في « ذاكرة النسيان » بل يرفعها إلى
مرحلة التجاوز المعاصر :

وقد كان يحي محمد قدم لهذه الندوة بورقة عمل وزعت على الحضور الذي كان
محترما ، حضورا واستقبالا .

التراث احتفل بالنخلة وكرّمها

افتتح الجلسة الأستاذ العروسي المطوي بصفته رئيسا لهذه الندوة وأشاد بواحة
كانت منفعة روحية - استثمارا ابداعيا - ومنفعة مادية - استثمارا حياتيا - لكل من
قصدها من بعيد أو قريب وكيف أن التراث احتفل بالنخلة وكرّمها ، وكيف أننا بدأنا
نهمل الواحة ونمارس عليها موتا مبرمجا قد يكون في أغلب الحالات بلاوعي منا

ويومي من طرق الري المستحدثة .

على اقتضابه كان الافتتاح ذا وقع شفاف على النفس وكان الأستاذ العروسي بصوته الدافئ .. التعب ونبراته المتقطعة كأنه يهدد وأخته العزيزة .

– هل يمكن أن نتحدث في تونس عن أدب الواحات ؟

هكذا تسأل الأستاذ محمد الباردي وما أجاب .. فقط إعتذر لكثرة مشاغله التي تفرضها عليه إدارته لمهرجان قابس الدولي لكنّه ما غفل عن طرح بعض رؤوس أقلام تصلح لأن تكون تخطيطاً لمحاضرة قيّمة .

قال الأستاذ الباردي : ... أنّ الموضوع قديم في التناولات الأدبية فمنذ بدايات الرواية العربية كانت هناك الأرض والريف ، مثل رواية " زينب لمحمد حسن بن هيكل " . في أغلب الآثار الإبداعية نجد الريف في تقابل مع المدينة ، ومعنى الواحة هو معنى مخصوصاً المقصود به الفضاء ..

الإطار المكاني الذي نجده مفتوحاً على العمران ، فالواحة في بعض الروايات فضاء تجري فيه الأحداث ، والواحة وسيلة لرسم بعض العادات والتقاليد التي عاشوا على وقع طقوسها ثم معالجة هذه الأحوال " حليلة كمثال " النقلة في عراجينها .. واحة بلا ظلّ لعمر بن سالم .

وأضاف الأستاذ الباردي .. أنّه بعد التعاضد أصبحت الواحة قضية تحمل بعض المضامين السياسية .. تجربة التعاضد من خلال صورة الواحة .. معنى الواحة . لكنّ أغلب الكتاب لم يتخذوا من الواحة جانباً من التأمل الفلسفي بقي استعمالهم للواحة واقعياً .

وأنتهى الأستاذ الباردي بأن رمى رأس قلم أحمر .. كانشارة الخطر التي يحس بها الجميع ولا أحد يفعل شيئاً قال :

– إذا تواصل زحف التمدّن على الواحة ستضيع ولم يجد الكاتب منبعاً آخر يستمدّ منه كلّ معاني الواحة ؟؟

النخل حضوره في الذاكرة ورمز في الإبداع :

تحت هذا العنوان كانت مداخلة مسعودة أبو بكر التي نزلت لأول مرة ضيفة على الواحة وقامت بخطوة الشمال .. جنوب . وقد أثبتت مسعودة أبو بكر حبكتها في إعداد مداخلتها بهروبها نحو الذاكرة والبحث في مخزونها الأدبي .. التراثي عن الواحة وإستعمالاتها فقد بحثت عن منابع أخرى زخرت بذكر الواحة واحتفلت بالنخل لتدرسها وتحللها . وأنجزت حديثا حلوا على حديث أحلى . ولأنها لم تعايش الواحة عن قرب .. نجحت في أن تكون محايدة رغم حبها الواضح للجنوب وأشياء الجنوب .

تقول مسعودة أبو بكر : - " هي النخلة إذن زاد لحياة الجنوبي وخارطة أحاسيسه ومرفأ إطمئنانه وعرض مخاوفه إن جادت ساد وإن شحّت تلاشت أماله . هي النخلة أكثر من جذع أخضر وأعناق .. هي تاريخ أمة ورمز أصالة ومميزات شعب ذكرت في أساطير الأوكين وعزّز ذكرها القرآن ، كانت النخلة لدى سكان جزيرة كريت في الأزمنة السحيقة تقيّوا من القداسة مكانة . كما أن ذكرها في القرآن ورد في أكثر من مناسبة ويكفي هذه الشجرة فخرا أنها شهدت ميلاد النبي عيسى عليه السلام ، إذ يقول الله في سورة مريم الآيات 22- 23- 24 « فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريّا وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » .

وتستشهد مسعودة أبو بكر بآثار إبراهيم درغوثي الأدبية التي وجدت فيها حقلا خصبا لإستعمالات الواحة والتخيل وشواهد عن إبداع ابن الواحة في الواحة وقد حمل إبراهيم درغوثي عنوان إحدى مجموعاته حملا رهيبا يصرخ فينا بأكثر من درس .. بأكثر من علامة قف ... النخل يموت واقفا .

وقد تعرّضت أيضا لرواية محمد الهادي بن صالح - بيت العنكبوت - وأشارت لدى حضور الواحة فيها ، بالرغم من أن أحداث الرواية تتمسرح في المدينة، فللنخل

ذكر في أكثر من مناسبة ... ففي الواحة تنور رجا الأخذ والعطاء بين ثالثوث الأرض والملأ والخماس .

فليست الواحة هي الخصرة فقط.. الماء والجمال وأعذاق الذهب والأحلام والرموز فقط ، لها كالتقد أو العملة وجهان .. وجه التعب والعيش العسير والعرق المهذور والأمل المقهور أحيانا ومواسم الجذب والقحط .

وجه المالك المتسلط والأجير الواقع بين ضرورة الارتزاق وإستغزاز ملك الأرض وربما كان الإثنان أمام قسوة الطبيعة على صهوة واحدة للقلق .

الجانب الاجتماعي في رواية واحة بلا ظل - لعمر بن سالم

ببعض إشارات عابرة تدخل الأستاذ يحي محمد لبسط بعض الأسئلة حول رواية عمر بن سالم التي إختصت في نقد التعاضد .

وقد كانت هذه الأسئلة تقديما للدراسة بعدها يحي محمد لتكون مفتوحة في اللقاء الثاني من هذه الندوة التي تبقى مفتوحة مع هذا المهرجان في اللاحق الآتي وفق ما سيجسّمه هذا اللقاء الأول من أفكار ورؤى تعود إلى بحثها وتحليها .

قصة الواحة ... واحة القصة

تحت هذا العنوان كانت مداخلة جنات إسماعيل - بنت القرية - التي حاولت أن تتحدث عن قصة الواحة من خلال تجربتها الأدبية والحياتية المتواضعة .

قلت : ... منذ نعومة أظافرها ونحن نحبو تحت النخيل نلتقط بلحه الأخضر الذي لم ينضج بعد .. نسكت به جوعنا وحده في أسفل النخلة منكسرا جائعا يتطلع إلى الثمر أعلاها يشتهي .. فمه يتسع .. أصبح كله أفواها يقذف حجرا .. وحده يقذف والبلح لم يسقط .. لم ينزل إليه .. وحده يقذف وحده جائعا .. وحده يموت . " مقطع من قصة - موسم للفرح ومواسم الحزن - من مجموعتي القصصية يوم طاعتي الأخير "

حين ننظر إلى أعلى زفرا أم فرحا تسبقنا النخلة للمصافحة .. للإحتواء فإذا بها رغما عنا تشاركنا كل أشياءنا الصغيرة والكبيرة دفء .. ظل .. غذاء .. مساندة

وكبرنا والواحة أبدا تحتوينا .. وكتبنا بعد أن استقلنا من الموت والواحة أبدا تسكننا ونسكنها .

– فكيف يكون التداعي مع الواحة وفي الواحة ؟

– كيف تكون الاستعارة ؟

– هل نكتب عن الواحة الساكنة فينا .. أم عن الواحة التي نسكنها ؟

– وكيف نؤسس من القصة واحة لصدق المعاناة .. للإلتصاق بالآخر / الجماعة .. للتأسيس الذي نرجو لواحة الغد المنتظر .

كانت هذه حملة أسئلة طرحتها وحاولت الإجابة عنها .

– كيف يكون التداعي مع الواحة وفي الواحة ؟

.. هل هو تداعي الحاجة إلى التمسك بدائرة قوّة وأصالة وثبات في لحظات اهتزاز وضعف تعريتنا ..

.. أم هو هروب الخوف .. اجتماء الاستسلام ؟

.. أم التفاف الابن بالأم .. الفصن بالشجرة .. النخلة بالواحة التي تظل أبدا فرصتنا نحن أبناءها لاحتلاب كل معانيها التي نريد وننصبها لنا حبيبة .. أمّا

ووطننا ، تهدينا رطبها .. ماءها .. جسدها فنخزل منها الحلم والقوّة ونكتب عنها انطلاقا منها فنستعيرها في شخوصنا .. في أبطالنا .. بل في تفاصيل حديثنا .

وقد تعرضت بالحديث لنخلة تتوسط بيتنا والتي كثيرا ما أتمثلها .. أبي يصرّ

على قلعها لأنها ليست خصبا وحتى الذي تنتج يعدم قبل أن ينضج وجدتي تقول

أن موتها موتي .. كنت أرى في هذه النخلة نفسي بين قوتي جذب .. حياة وموت

.. بقاء وفناء .

ولا أدري هل أنا تحدثت في قصتي " حديث النخلة " عن النخلة في تصوّري

والتي أشتي كثيرا تمثلها وحتى إن ماتت فهي نموت واقفة ولا تنتهي ، أم تحدثت عن

نخلة بيتنا وعنائها الصامت وكلّ المناورات ضدها فقد صارت النخلة رغم كل عطائها

وصمتها مستهدفة أيضا ..

.. هل نحن حين نكتب عن الواحة ونخلها نحضرها كشاهدة أم شهيدة ؟

.. وهل فعلاً نستوعب استشهادهما ؟ ..

.. أم أننا لا نحسّ سقوطها حين تمتدّ على الأرض واقفة أفقا بالمئات ؟!

.. واحة القصّة إذاً كيف ؟

.. هل بالقصّة تؤسّس الواحة أم بالواحة تؤسّس القصّة ؟؟

.. ويظلّ السؤال أبداً يلاحقنا

خاتمة هي سؤال ووعد بالتلاقي :

وتناقش الجمع في حوار حضاري على الواحة ومؤثراتها الإبداعية والحياتية وعن الأخطار التي تتهدّها وامتزج حبّهم للواحة بالخوف عليها والدفاع عنها .

وتفرّقوا على حبّ .. على وعد بالتلاقي .. وأسئلة كثيرة تشيّعهم تتراقص في

عيونهم حيرى .. سكرى .

وأزرعها في دمي لفة

ولي نخلة

حين يحرقها الماء

بالعراجين ترقص

تحرّقني بالشقاء

لي نخلة في جنان الجريد هي للعبد

علقت فيها كتاب السنين

- حسن بن عبد الله -

التي أذ بلتني وغصّة أطفالى الأربعة

أعانقها في الخريف المخيف



الشابي مرّ من هنا

في إطار الإحتفال بستينية الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي ، وحتى يكون الإحتفال وطنيا شاملا أرجاء البلاد ، نظّمت إدارة المطالعة العمومية تحت عناية وزارة الثقافة قافلة ثقافية تحمل إسم الشابي وفاء لذكراه . وتزور هذه القافلة مختلف المدن التي زارها الشابي وأقام بها مزودة ببرنامج ثقافي ثري أعد خصيصا للغرض .

تضم القافلة ستة شعراء من الجبل الجديد حتى يكونوا إمتدادا وتواصلا للتجربة الشعرية التونسية منذ الشابي إلى اليوم وهم : كمال بو عجيلة ومحجوب العياري ، ومحمد الهادي الجزيري ، ومجدي بن عيسى ، وشمس الدين العوني ، وصلاح الدين الحمادي .

كما يشارك القافلة رحلتها الأستاذ لسعد بن حسين محاضرا . وفي نفس الوقت تنتقل القافلة بالمعرض إثنان منها تستلهمان قصائد الشابي . الأوّل لعبد العزيز الدريدي والثاني يحتوي على رسوم منجزة في إطار الخمسينية الشابي التي نظمها البنك التونسي سنة 84 .

أمّا الثالث فهو شامل لأكثر من خمسين عنوانا من الكتب المنجزة حول شخصية الشابي ، إلى جانب هذا جملة من المراجع البيوغرافية المرشدة لجميع الدارسين وعمّا كتب عن الشابي .

يونس القافلة الرّبه أم صالح الصويعي المرزوقي الذي يؤثث الفضاءات والمحطات التي تتوقف فيها القافلة بجداريات ضخمة يشارك فيها أهالي المنطقة تخليدا للاستينية .

في
سليانة

ستينية
الشابي

مَا كَانَ النَّبِيُّ مَجْهُولًا ولكنها المرحلة شاءت

بقلم : جمال الشراي

في صباح الحياة ضَمَخْتُ أَكوابي
واترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها إِلَيْكَ فاهزقت رحيقي
ودسنت يا شعب كاسي
ثم البستني من الحزن ثوبًا

ويشوك الجبال توجت رأسي
الأكيد أن الشابي لو عاش إلى اليوم وبلغ عقده التاسع لندم كثيرًا على هذا
الكلام أو لكان سحبه من سجلاته الشعرية فهذا الشعب شرب من كأس الشاعر
وما داسها وخلق عليه شالاً وثوباً من الحرير .

لأنها تونس الجميلة ، لأنها أرض الوفاء وأرض الإخلاص والإعتراف بالجميل
فإنها دائما وفيّة ودائما تعترف بالجميل وتردّ عليه بالإجلال والتكريم وكرّمت تونس
إبنها الفذ ولم تتجاهل " نبيّها المجهول " وعمت رسالته العرب جميعا فأجلكه العربُ
جميعاً وأهدته تونس أغلى هدايا العرب الأوائل لم تهده ناقة النبيّ صالح ولا فرس
حاتم الطائي بل أهدته قافلةً يحاديها . قافلة الشابي شامّة فخرٍ ووشاح كرم على
صدر هذا الشعب بعهد الوفيّ ..

القافلة بغرسانها الشعراء مشّت كما لو كان الشابي حاديها لقد سلكت نفس
المسالك والثنايا التي جابها ذات مرّة ... بدءاً من المدينة القديمة .. هنا الشاعر كان

إحتسى بعض كؤوسه التي قال عنها كأنه كان يؤسس لبית الشعر الذي يقام بعده
لاخوانه الشعراء .

ومن المدينة العتيقة كان لابدّ العبور من باب سوقة هنا بقايا مذكرات الشاعر قد
كُتبت وقد خلّدت بعض أشعاره التي أهملتها له زغوان وعين دراهم لحسن طبيعتهما
وتتبع القافلة رسوم الإلهام فمرّت بزغوان لتشرب من زلال مياهها وصعدت تلال
عين دراهم وعبرت سهول مجاز الباب لتحط رحالها في مدينة المياه السيّانة دائماً :
سليانة .

مدينة سليانة والموطيء الأول لقدم ابن أبي الضياف وموطن الإتحاف كانت ذات
يوم محطة سفرٍ في أسفار الشاعر الكبير أبي القاسم الشابي فقد نزل أبوه هناك
قاضياً بالعدل بين القبائل والعروش المتنافرة ليجمعهم حول كلمة حق واحدة مثمناً
أراد إبنه تجميعهم حول عذو واحد هو الإستعمار .



سليانة بمتقيها أعدت منّاخ القافلة ونصبت لها خيام الشعر متناثرة هنا وهناك
بين مؤسساتها التربويّة حتّى تربّي الأجيال على تبجيل عشاق هذه الأرض
الخضراء .

خيمة الإستقبال الرئيسيّة كانت معيّنة ثقافة وأدب فهي المكتبة العموميّة وللإعتراف

شكراً للمسؤولين هناك على حقائهم ، حظ الضيوف رحالهم وأنأخوا الإبلَ وفتحوا
المزاوِدَ والرحال .

رجل الأدب والنقد لسعد بن حسين كان أعدَّ وجبةً دسمةً فأحضرها محاضرة
تضمنت ثنائية الخيبة والأمل في شعر الشابي ومثلما كان أمل الحاضرين في متعه
الشعر ، فإنه لم يخب إذ أطربهم الشاعر كمال بوعجيلة بروعة أفروديت وسحرها
وأشرقت قصائد شمس الدين العوني وتبعتها روائع شعرية تفاعل معها الحاضرون
لكل من ...



وبعدها شدت رحالها نحو مرتفعات الثلوج : تالة فهنا قد جلدت الثلوج الشاعر
يوماً ولكن لم يكن أشد من وقع ثلوج قلب الشعب وهمته اللذين أثقلهما الإستعمار
بإرهاصاته فتجاهل نبوءة إبنه ولكنه الآن يتدارك الذي فات ويؤمن بالعبري
ويبجله ويقيم له الكنائس ويضرب النواقيس ، وفي مدينة توزر كان البـرج
هائلاً ومنتصباً فهيناً للشابي بشعبه وهيناً للشعب بشاعره العظيم .

هل حققت ستينية الشابي نجاحها الموعود ؟

بقلم : الأزهر النفطي

« كان الشابي شاعرا كاملا وأول صفاته أنه أحب « الحياة » حبا عميقا كاملا ... أحب الجمال وأحب وطنه ... وأحب الحرية وكما ظهر هومير في أثينا وشكسبير في لندن وغوتا في ألمانيا وبوشكين في روسيا ... كذلك ظهر الشابي في تونس » (الشاعر المصري إبراهيم ناجي جريدة " البلاغ " 14 جانفي 1953 .
تحت سامي إشراف سيادة رئيس الجمهورية ويمتابة شخصية من الدكتور المنجي بوسنينة وزير الثقافة ويتنسيق عملي ميداني من الأستاذ سمير بالحاج يحيى الكاتب العام للجنة الثقافية الوطنية ويمعاضة السلط المحلية والجهوية بربوع الجريد مسقط رأس الشابي يتقدمهم الأستاذ إبراهيم الفريضي والي الجهة احتضنت ولاية توزر على مدى عشرة أيام فعاليات تظاهرات ستينية الشابي التي افتتحها الدكتور المنجي بوسنينة وزير الثقافة واختتمها الأستاذ يوسف الرمادي رئيس ديوان وزير الثقافة بحضور أفراد أسرة شاعر إرادة الحياة ونويه .
وقد أقيمت هذه التظاهرة المتميزة تكريسا لاختياراتنا الجوهريّة الكبرى في العناية بحملة القلم الذين ساهموا بقسطهم الوافر في إثراء موروثنا الثقافي والحضاري والعلمي ونهلوا من منابع الأصالة وكرعوا من روافد الضياء .

وقد توفرت كل الظروف المادية والأدبية الملائمة لإنتاج الستينية فكانت التظاهرة بحق بحجم شاعر أمن برسالة الأدب النبيلة وبشر بالصباح الجديد وتنبأ بالزمن الآتي وثار على مصادرة العقل وتمرد على جميع ألوان التقليد والرتابة والركود

والجمود وانخرط في صميم حركة الإصلاح في تونس في الثلث الأول من القرن العشرين مع نخبة من رفاق دربه نذكر من بينهم : الهادي العبيدي ، زين العابدين السنوسي ، الطاهر الحداد ، محمد الطيوي ، محمد البشروش ، ... فأضحى الشابي علامة بارزة وعطاء متدفقا في عالم الخلق والإبداع فكان احتفال تونس في بستينته في مستوى الحدث المأمول إيماننا بقدرة الفرد المبدع على بناء الغد المنشود .

ضيوف ستينية الشابي :

استقطبت هذه التظاهرة الكبرى أسماء عربية بارزة في مجالات الفكر والبحث والشعر قدموا إلى تونس لمشاركتنا في إحياء ستينية شاعرنا الخالد من بين هذه الأسماء نذكر : الأستاذ سهيل إدريس صاحب مجلة الآداب اللبنانية ، والأستاذ تزيه زبونضال المدير التنفيذي للإتحاد العام للكتاب والأدباء العرب والشاعر الجزائري الكبير محمد الأخضر السانحي والشاعرة الكويتية " جنة القريني والشاعر السوري سعيد السهلي رئيس مركز الثقافة بسوريا والباحث المصري الدكتور صبري حافظ أستاذ الأدب العربي بكلية الاستشراق بجامعة لندن والشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي إضافة إلى حضور أبرز الوجوه الأدبية في تونس نذكر من بينهم الأستاذ محمد العروسي المطوي والشاعر الميداني بن صالح والناقد أبو زيان السعدي ... وقد عبر جميعهم عن سعادتهم بمواكبة ستينية شاعر أغاني الحياة .

مظاهر فكرية واحتفالية في ستينية الشابي :

وقد تنوعت المظاهر الفكرية والاحتفالية والمسابقات التنشيطية الجهوية الموجهة للناشئة والمستوحاة من مدونة الشابي وتمحورت أنساقها التربوية أساسا حول معارض الكتب والمخطوطات التي أقيمت بواحة الشابي ومعارض الفنون التشكيلية التي نظمت بمتحف دار شريط بمشاركة أبرز الفنانين التشكيليين التونسيين والعرب نذكر من بينهم : حاتم المكي ، زبير التركي ، عبد المجيد السعدي ،

صالح الصويحي ، عبد العزيز الدريدي والفنان العراقي علي الربيع ، كما أقيمت أمسيات شعرية شهدت حضوراً جماهيرياً مكثفاً ساهمت فيها نخبة من صفوف شعراء الوطن العربي :: عبد الوهاب البياتي (أولد وأحترق بحبي) ، محمد الأخضر السائحي (تونس الحب) ، جنة القريني (في حضرة الوجد) ، سعيد السطلي (مساورات) محي الدين خريف (ويبقي الشعر) نور الدين صمود (الشاعر ذو الحروف المحلقة) ، سويلمي بوجمعة (خيمة الاشتهااء) ، محمد الغزي (من أجلنا هذه الأرض التي دحيت) ، محمد بن صالح (وارد في كامل الأسفار نحن) ، محمد علي الهاني (يتباهى العلا بقمة نسبر) ، سوف عبيد (زهوري بين يديك) ، جمال الصليعي (حاجتي والأسوار) ، منصف المزغني (قصائد من ديوان حبات) محجوب العياري (أجر قدحي) ، الهاشمي بلوزة (النخل) الأزهر النفطي (صهيل القوافي) ، نور الدين بالطيب (قصائد موحشة) ، عادل بوعقة (خطى الفمام) ، خير الدين الشابي (رسالة إلى الشابي) مع تمكين نخبة من الأصوات الواعدة من نوادي نور الثقافة بولاية توزر من المشاركة في هذه الأمسيات الشعرية .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
وقد تنافست القراءات الشعرية المستوحاة من عالم الشابي مع سهرة فنية رائقة قدمتها فرقة الإذاعة والتلفزة وتغنى خلالها مشاهير أصوات الطرب في تونس بأجمل قصائد ديوان أغاني الحياة .

أعمال الشابي بين مناهج التنظير وأدوات التطبيق :

وقد تزامنت المظاهر الاحتفالية المذكورة مع تنظيم الندوة الفكرية التي احتضنتها دار الثقافة بواحة الشابي أيام 7 - 8 - 9 أكتوبر 1994 وذلك تحت شعار (كيف نقرأ الشابي) واكبها جمهور كبير من أهل الثقافة بربروع الجريد وقدمت خلالها مجموعة من المحاضرات تفاوتت أنساقها التحليلية بين الجودة والبحث عن الإضافة والقراءة التحليلية المدرسية وقد احتوى مجمل مضامينها على تدارس أعمال الشابي الشعرية والنثرية وأسرار خلودها وأسباب انتشارها ففتحت هذه

البحوث أفاقاً جديدة على قراءة نص الشابي وعلى عبقرية شاعر جمع بين مختلف الأجناس الأدبية في تميز في عصر النظم والاحياء والتقليد إذ تحدث الدكتور جعفر ماجد عن علاقة الشابي بمجلة « أبولو » ولاحظ أن أبا القاسم اشترى جميع أعدادها وأصبح عضواً فاعلاً فيها ونشر بها سنة 1933 - 13 قصيدة كما قدح لديوان صاحبها أحمد زكي أبو شادي وفتح الباب أمام محمد الحليوي ومحمد البشروش وزين العابدين السنوسي فنشروا بمجلة « أبولو » وبمجلة « السياسة الأسبوعية » وكانت قصيدة (صلوات في هيكल الحب) أول ما نشر بها وقصيد (نشيد الجبار) آخر ما نشر بها كما نشر الشابي بمجلة العالم الأدبي « محاضرة الخيال الشعري عند العرب » سنة 1930 و 12 قصيدة وثلاث قطع نثرية بنفس المجلة وبذلك تدحض المصادر المستقاة من مجلة ... أبولو » و مجلة « العالم الأدبي » مزاعم الكاتب المصري رجا النقاش القائلة : « بأن الخلاص جاء إلى الشابي من مصر في السنة الأخيرة قبل وفاته بفضل مجلة أبولو » .

وفي سياق القراءات النقدية التي قاربت أعمال الشابي من 1929 إلى 1990 لاحظ الأستاذ مصطفى الكيلاني في بحثه (في نهايات القرن العشرين بين النص والقراءة) أن الشابي أمسى علامة للإنسان التونسي الرمز مما أهّل أعماله الشعرية والنثرية أن تكون المرجع الأوّل والأخير دون الضياع في المتاهات وأضاف المحاضر أن مشروع الشاعر لم يتحقق منه إلا القليل بسبب قصر عمر الشاعر وأن تردد الشابي بين التراث وتمثل الكون والبحث عن سمات التميز والتفرد والبدائل والتحديث هي علامات تجربة رائدة في الكثافة الرمزية . وعن مفهوم القول والعمل بمعنى القول والإرادة في شعر الشابي تحدث الاستاذ خالد ميلاد في دراسته عمل القول الشعري في أغاني الحياة ولاحظ أن النداء مع الشابي تحول إلى عنصر أساسي في القصيدة وإلى لازمة لفظية تثري تنوع النص الشعري وكان الشابي ينشئ عالمه الشعري بالنداء وهو مفتاح الدنيا المحببة .

وفي قراءة لأبيات من ديوان أغاني الحياة استنتق الأستاذ صلاح الدين بوجاه القاموس اللغوي لمدينة الشابي ولاحظ أن الشاعر حاور في شعر وجداني فلسفي منظومة الاضداد كالموت والحياة والريف والمدينة وعناصر الطبيعة مع فصول رياح وماء وهواء وتراب واتخذ منها ثوابت جوهرية لشعرية أغاني الحياة ، وفي خط متوازن تناول الأستاذ عبد الحميد الشابي شقيق الشاعر مفهوم الطموح في شعر أبي القاسم ولاحظ أن شعر الشابي ومذكراته ورسائله إلى أفراد الأسرة والأصدقاء ظلت ذكريات ذهبية تحت أصحاب العزائم الصادقة على الطموح .

وأكد أن الشابي سخر في حياته من أشباه المثقفين وأخفى ألمه ومرضه العضال في ابتسامة مرة ونحت لنفسه رؤية فنية وكونية اتسمت بالتفرد والشمولية والتحديث ، وقسم المحاضر أعمال الشابي إلى ثلاثة محاور مركزية رتلها أبو القاسم في أغاني الحياة وهي : البعد الوطني ، والبعد العربي ، والبعد الإسلامي وهو تقسيم ينضاف إلى الرؤى النقدية التي تتحدث عن الطبيعة والمرأة والقصة في شعر الشابي .

أما الدكتور صبري حافظ فقد تناول المتن الشعري الشابي الراض للواقع الراهن ودرجة صغر التأويل والجدل القائم بين المفصح عنه والمسكوت عنه في قصائد ديوان أغاني الحياة ولاحظ المحاضر أن هناك تناظر بين بنى القراءات القديمة وبنية القراءة الجديدة في شعر الشابي بسبب تمتع الشاعر بنفاذ البصيرة والرؤية الإنسانية الكونية مما جعل الآخر الأجنبي يتعلم من درس أبي القاسم أكثر منا بسبب نقشي داء فقدان الذاكرة في الوطن العربي .

ولاحظ الباحث أن انفتاح شعرية الكلمات وشعرية الأشياء في متن الشابي حققت لصاحبها الانتشار لأن كتابته القصيدة بلغت النضج وتجاوزت مراحل النقل والانشاد والتطريب والتماثل والمحاكاة ونفذت لعمق قضايا الإنسان الكبرى القائمة على إرادة الحياة والحرية والمساواة وضمن نظرية التعريف بالمصطلح والوظائف الأساسية والوظائف المتممة لحركة التكامل بين الأضداد وحركة التصادم بينها

وتجاوز الأضداد في كنف واحد تناول الأستاذ عبد الله صولة في بحثه الأسلوبى موضوع المقابلات اللغوية في شعر الشابي ولاحظ أن هناك أنساق تركيبية تنظم النص والتعارض ينم عن أزمة من التمجيد .

فالشعر حسب المحاضر انشغال بالسماء وانغراس بالأرض والمقابلة لا تكمن في المعجم الاستعارة المكنية والتصريحية والنظرة السكونية والنظرة الحركية فقط وإنما في حركة الترتيب والمند التنازلي والجمع والأفراد والتعبير بالفعل والتعبير بالصفة والادال الفني ، وخلص المحاضر إلى نفاذ شعر الشابي صاحب الرؤيا الإبداعية القائمة على التناقض فهو مسرح للذات ممزقة بين النص العربي والنص الغربي .

وعن نصوص متولجة وكتابات متواشجة في لغة تراثية محملة بذاكرة موشومة بنماذج تركيبية كثيرة تسعى إلى ابتكار أشكالها تحدث الشاعر محمد الغربي في بحثه قراءة في ديوان أغاني الحياة ولاحظ أن رومنسية الشابي إسلامية حاورت التراث في صيغ تركيبية النص الذي يقود تجربة الشابي لأن الرومنسية ثورة وتمرد وقطبيعة مع الماضي <http://Archivebeta.Sakhrilab.com>

وأشار المحاضر إلى طوق الشابي لشحن النص الشعري بقوة النص القديم (عمر الصهروردي) في شعر موصول بالمعنى المسبق والدلالة الموصولة والصورة الجاهزة ولم يهمل الباحث النبذة الخطابية في شعر الشابي لبلوغ الاقناع في ظرف مخصوص قصد ربط التجربة المخصوصة بالحركة الأدبية .

وفي سياق مغاير لبنية النص الشعري تحدث الأستاذ فوزي الزملي في بحثه عن مذكرات الشابي ولاحظ إطرأ أبا القاسم لأنصار التجديد وتهكمه من المقلدين . كما وضع المحاضر أن مذكرات الشابي تكشف عن ثقافة الشاعر والمؤثرات الفكرية واللغوية والفلسفية التي خضع لها أكثر مما تكشف من شخصية الكاتب وعن النوافع النفسية التي جعلت الشابي يكتب مذكراته في سن مبكر : موت والده ، ظهور علامات المرض بتضخم القلب ، الالتحاق بدراسة الحقوق : ، « كان لا ينাম

إلا بأكيا كنييا من شبح الموت >> . وعن علاقة مذكرات الشابي بفن الرسائل والمذكرات أشار الباحث إلى فجوات في تسلسل هذه المذكرات فهي عبارة عن تدوين يوميات أفصح فيها الشاعر عن ما لا يجراً على قوله للناس فهي تحمل طابع المزاجية بين الإبداع واليوميات تحدث فيها عوامل السرد .

وحول مفهوم المرأة في شعر الشابي تحدث الأستاذ توفيق بكار من خلال نص نقدي إبداعي عن قصيدة (صلوات في هيك الحب) حيث أسقط محور اختياري على محور التركيب حسب عبارة << جاك أوبسون >> في محاضراته (Linguistique politique) ولاحظ أن القصيدة سمفونية رائعة موسومة بثنائيات الجنس والطباق عزف من خلالها الشابي بقلم الشاعر المبدع الموهوب صاحب الخيال الواسع على آلة الشعر ففتح أمام النقاد أفاقاً جديدة على قراءة النص الشعري وأجاد في رسم المسافة الفاصلة بين الإبداع والهجر فكان به (جزء النقد ما يقول النص) ، حسب عبارة رولان بارت وكان جوهر الإبداع في التناسق والبنية والتركيب وكانت ثورة البنين على الآباء في مفهوم الكتابة الحديثة وروحها وعمقها . والملاحظ أن تسجيل غياب الكاتب الجزائري وسين الأعرج والنقاد المصري أحمد جابر عصفور والأديب اللبناني أنس الحاج وجميعهم عن مواكبة فعاليات الركن الأساسي لستينية الشابي لم يؤثر البتة على سير أشغال النخوة الفكرية ولا على نسق مداولاتها ومحاورها لكننا لاحظنا غياب كلية الآداب بجامعة الوسط ونظيرتها جامعة الجنوب رغم توفرهما على كفاءات علمية عالية في مجال النقد الأدبي الحديث ورجاؤنا نهمس به بلطف في أذان لجان التنظيم لتدارك هذه الثغرات في نوات وطنية مقبلة .

تأسيس جمعية تعنى بأعمال الشابي :

وفي ختام الاحتفالات الرسمية بستينية الشابي تحدث الأستاذ إبراهيم الفريضي والي توزر ولاحظ أن الاحتفاء بإحياء ذكرى ستينية أبي القاسم الشابي احتفال متواصل العطاء الزاخر لهذا الشاعر الغد ولاحظ أيضاً أن مشروع التحديث هو

مشروع الإنسان المؤمن بطاقاته الخلاقة لتجاوز الواقع الراهن إلى رحاب أوسع
وغد منشود .

ويشر المشاركون ببعث جمعية تعنى بالبحوث والدراسات الموجهة لأعمال الشابي
يترأسها الأستاذ علي الشابي وزير الشؤون الدينية وستشرع في عملها بداية
من السنة القادمة .

ونبابة عن ضيوف الستينية تحدث الدكتور صبري حافظ وألح على احياء الذاكرة
الأدبية والتاريخية ونادى بتكريس القيم الإنسانية النبيلة التي وهب الشابي حياته
لإبرازها في رسالة الشعر التي آمن بها .

وفي نفس السياق تحدث الأستاذ يوسف الرمادي رئيس ديوان وزير الثقافة
ولاحظ أنه لأول مرة اتصل الجمهور بالنقاد والشعراء بدار الثقافة في رحاب واحة
الشابي وقرب ضريحه وذلك تكريما للمبدع التونسي وتأكيدا على المكانة المرموقة
التي يتبوؤها في ظل حركة التصحيح والإصلاح . وأضاف الأستاذ يوسف
الرمادي أن الستينية ستستواصل على مدى سنة بكامل جهات الجمهورية
وستواصل قافلة الشابي رحلتها على مدار السنة .

جوائز تشجيعية للمسابقات :

وقد نظمت على هامش الستينية مسابقات في التحرير والحفظ واللقاء والرسم
وإعداد ملفات خاصة بمسيرة الشابي تنافس على الفوز بجوائزها تلاميذ المعاهد
الثانوية والمدارس الإبتدائية بولاية توزر فكانت نتائجها كالآتي :

*** في التحرير :**

- 1 - منية لعيش السنة السابعة آداب من معهد نقطة
- 2 - نادرة عبد الصمد من معهد 2 مارس بدقاش .
- 3 - صفاء بادي من معهد 2 مارس بدقاش .

*** في اللقاء :**

- 1 - ضحى العلوي من مدرسة النصر بدقاش .

2- مراد السلطوني من المدرسة الابتدائية بنقطة

3- شادية الهادفي من مدرسة ابن الشباط بتوزر .

* في الرسم :

1 - نجيب شقسم من توزر

2 - عزيزة خروبي من مدرسة ابن الشباط بتوزر

3- سفيان نويبي من نقطة

* في إعداد الملفات :

1 - سعاد هبولة مكن نقطة

2 - علي النيفر من المعهد الفني أبو القاسم الشابي توزر

3 - بسمة زهرة من نقطة .



علما أن المشاركين قد اقترحوا تنظيم ندوة فكرية حول تأثير الشابي في الشعر

العربي المعاصر كما ألحوا على ضرورة جمع الأعمال المخطوطة التي تركها

الشابي لأسرته ونويه وتحقيقها وطبعها وتمكين الدارسين منها لأضاعة جوانب خفية

من عبقرية أبي القاسم الشعرية والفنية .

الأقلام الواعدة

إشراف الأستاذ : عبد المجيد زين العابدين

لا شك أن المثابرة من بين أسباب نجاح الأعمال والمشاريع والتوفيق إلى بلوغ الغايات . أجل فمن دون التواصل والاستمرار في السعي والكد ومن دون العزيمة ومن دون خوض غمار التجارب لا يتسنى بلوغ الغايات ولا يتأتى للمرء الحصول على مبتغاه ، كثيرهم الشباب المبدعون الذين ينضمون إلى ميدان الإبداع ويبسبون تحمسا ومحبة إلى حد الكلف أحيانا ، إلا أن هذه الجنوة سبيلها إلى الإنطفاء أو إلى الفتور ، إن لم تجد من يرعاها ويعتني بها .

كل أملنا أن التوقف من قبل المبدعين الشباب يكون لغاية التأمل والمراجعة ، ذلك أن هذه المرحلة هي من الأهمية بمكان في حياة هؤلاء الأدباء الناشئين وكذلك لغيرهم ، فالتأمل يفرز النتائج والثمار ويؤكد الاتجاه ويثبت المواهب والقدرات . كل الرجاء أن يعود العديد من الشباب المبدعين الذين عوّنوا مجلتهم الإتحاف الغراء بإننتاجاتهم ليعودوا بها ويثروا بأعمالهم الجديدة هذه ركنهم هذا الأقلام الواعدة ونحن نعددهم بالعناية والنشر كلما وجدنا المستوى المطلوب .

* إلى الشاب صلاح داود أصيل دار شعبان الفهري

إن أترك الشعرى الموسوم بعنوان : « تونس بين الحلو والمر » يشبه الموشح في تركيبته إلا أن الموشح يختلف عن القصيد بقوافيه المتنوعة وتسمية أجزائه والتام منه يكون مبدوء بطابع متكون من شطرين يسمى كل منهما غصنا تليه أجزاء ثلاثة أو أكثر يسمى كل جزء منها سمطا يجمع على أسماط ويطلق عليها مجموعة اسم النور وعادة ما يختتم المطلع والنور بما يسمى القفل الذي لا يعدو أن يكون بيتا تكون

قافيته قافية المطلع .

قلت هذا أيها الصديق صلاح لأحد صنف أثرك الشعري بادئ ذي بدء فأنت
تورد بعد كل بيتين متكونين من صدر وعجز أولاهما مصدع وثانيهما قافيته هي
نفس قافية البيت الأول يليهما بيتان أو قل شطران تقفيتهما موحدة ولكنها مختلفة
عن تقفية البيتين السابقين . هذا الصنف وإن أشبه الموشح في تركيبته فليس
بالموشح إذ أن أنواره أقل من ثلاثة وهو خال من الأقفال والمطالع وجدنتي أنزع إلى
تسميته بمقطوعات منظومة متنوعة القوافي جاءت كلها على وزن المتقارب الذي هو
من البحور الغنائية ولئن بدت الكلفة واضحة على القوافي سواد هذا السياق
الشعري ، ولئن لم توفق فيه إلى اختيار الألفاظ الشعرية الجزلة في عديد المواطن
منه وكذلك لم توفق في تعدية بعض الأفعال إلى مفاعيلها إلى استعمال حرف
الجر الملائم ، فإن العمل لا يخلو من شاعرية فيأصـة تتخفى من ورائها لك أيها
الصديق صلاح آفاق وأعدة في ميدان الشعر . أجل إن تقتي في قدراتك الكمية
يدعوني إلى الكشف عن سبلبياته حتى توفق بأن الشعر مسؤولية وجهاد ..

أسوق لك أهم مقاطع لسياقك الشعري الذي هو بعنوان : « تونس بين الحلو
والمر » بعد تنقيحها وحذف ما لا طائل له منها :

أحب بلادي غراماً فتن** وأهوى ثراها لحد الجنن

.....

وعودت نفسي أن العنا** ضؤونا لأرضي يهد البنا
ومن نام أو حام ما عرقاً** ومن شد أو هد أشواقنا

فأرض بلادي تمج الكسل

وتثبت في الصخر زهر الأمل

ولو قتلوني أدم النؤوم** يعيش الحياة بمقهى السموم

ويقتات خبزاً بـدون نصب** ويتقى الأراضى عذارى تحوم

فقمح بلادي هوأه رجل

وشعبُ المقاهي علينا ثَقُلْ

تحيّة صدقٍ لَكُنْاسِ حَيِّي ** يُنِيرُ الرُّصَيْفَ فينزاح مَرْضِي
ستشرقُ في النَّاسِ شمسُ الحَيَاةِ ** فهذي البُطُولَةُ أَقدسُ فَرَضِ
جَسُودُ بِلادِي عُبُورُ ونَامَ ** تَزِيدُ بِلادِي عَمِيقَ التَّحَامِ
فَعَنْ هِنْدَسَ الجِسْرِ أَعْلَى المَقَامِ ** إِلَيْهِ اخْتَرَامِي وأَسْمَى سَلَامِ
فَوَادِي بِلادِي بِمَاءِ حَقْلِ

وبالجسر غُثَى نشيد الأملِ

سَلَامٌ سَلَامٌ لروح الطَّيِّبِ ** يَبِيعُ النُّعَاسَ لِيُفْنِي الكَرْبِ
يُزِيلُ مِنَ الجِسْمِ دَاءً غَرِيبَ ** فينزاح عنه ثَقِيلُ الخُطُوبِ
طَبِيبُ بِلادِي رَسولُ الرُّسُلِ

إِذَا أَخْلَصَ الحُبُّ لاقَى القَلْبُ

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فَتَوْنَسُ أَرْضِي عروسُ الزَّمَنِ ** وَكَمْ مِنْ عَشِيقٍ بِهَا قَدْ فُتِنَ
نُرومُ مَكَاتِبَ مَلَأَى ضَعَائِرُ ** طَوَالَ الثَّوَانِي تَشَدُّ الدَّفَاتِرُ
وَتَأْسَى لِبَاكِ إِلَيْهَا اشْتَكَى ** وَتَسْتَقْبِلُ النَّاسَ مِنْ كُلِّ زَائِرِ
فَمَا عَاشَ شَعْبُ يَهَابُ العَمَلِ
وهذي الضَّعَائِرُ مِفْتَاحُ حَلِّ

على قدر صدقي يفيض لسانِي ** بما في الضمير تسييل المعاني
فيرشفه الشعر حباً صراحاً ** بما يفتن الرُّوحَ حَلَوُ افْتَتَانِ

فما الوطنية حجب العللِ

ولكنّها الحربُ ضدَّ الخَلَلِ

* إلى الأنسة دلندة الهدياوي طالبة بكلية طب الأسنان بالمنستير .

أيتها الأنسة دلندة ، لقد قرأت لك أكثر من نصّ « شعري » إلا أنّ الملاحظة اليتيمة التي خلصت إليها هي أنّك أقدمت على ممارسة فنّ الشعر غير العمودي والحرّ وهو فنّ أرى أنّ لونه ما دونه من اجتهاد وجهاد يتمكّن أساسا في قراءة جيّد آثاره وحفظ ما أتيح لك منها . أقبلت على ممارسة هذا الفنّ وليس في جرابك من أنوات العمل والممارسة إلا شيء واحد ألا وهو حبّ هذا الفنّ والكلف به . عامل الحبّ هام ومشجّع غير أنّه غير كاف لاستمرارية الممارسة والانطلاق السديدة الثابتة . تتأكّد الآن حاجتكم إلى القراءة المشفوعة بحفظ اليسير من الشعر قديمه وحديثه موزونة والمتحرر من الأوزان ، فأنّت إذا أجهدت نفسك على السير في هذا الدرب لا شك آتية بالجديد في الرؤية والمضمون خاصة بحكم اختصاصك في ميدان الطبّ وهو غزير جدّا لما لم نألف من المعاني والمعارف والمعلومات . عثرت لك أخيراً على نصّ أردته نثريا إلا أنّه نصّ فيه نزعه إلى الرومنطيقية وبعيد عن الكلفة قد يكشف لك عن موهبتك الحقيقيّة قادما . فإذا كان ذلك فعلبك إذن بقراءة أعمال قصصيّة جيّدة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أنشر هذا النصّ الذي اخترت له من العناوين « حلم جميل »

- حلم جميل -

مدينتي الجديدة ، روجي المجيدة تنشدك ، قناديلك تنبر بصري ، فضاؤك يسع فؤادي ، وطيبورك تهمس في كياني تتوسّلني كي أمكث معها في سمائك الوردية . مهلا طيبوري الأنيسة سأصطحبك ، معا سنسبح في أفاق متناهية ، سنحتضن قطرات الندى العالقة بزهر الكستناء ، سنترجّع سلسبيل الهيام ، أيا طيري الحبيب ، إنّ ريشك يداعب جفوني ويحملني إلى عالم ساحر بل إلى نقطة في جنتي البديعة . إنّها جنة في الفضاء توقظ روجي ، تنعش فؤادي وتحوم بي بين الخمائيل الخضراء الجميلة فهل تتناهى إلى سمعك أصداء مناجاتي . أيتها الخمييلة ، وجسدي ينعم بلمساتك السحرية ، أستيقظ على واقعي فأحبك خير سبيل إلي

الابتسامة المعنبة المرسومة على لوحة فنيّة ، دموع النسوة تتسلّل عبر مقلتي ...
لكنّ نعيم الفرح يؤلمني يحزنني ، لا أريد أن أرحل عنك أيتها المدينة ، سأمكث هنا
لأجوب سماءك وأصطاد النجوم ، أريد أن أسكر بسحرك وأدمن على نبيذ
السعادة ، أبداً سأحتفي بجمالك حنتي فلا تفارقيني .

* إلى الشاب النابه علي الشبيدي

قرأت لك أيّها الصديق أكثر من نصّ شعري أو ما اصطلاح عليه بالقصيدة
النثرية ، وأدركت لأعمالك قيمة أدبية قد تتوفر بها قادما على صفحات ناصعة متألقة
في هذا الفن أو ذاك من ميدان الأدب ، إلّا أنّ رسالتك غابت عني واختفت منذ ما
يناهز السنتين فهل تسمح لي بالتساؤل عن سبب هذا الاختفاء ؟ هل هو التأمل
والمراجعة والسعي الدؤوب لتذليل صعوبات الحياة أم الانعطاف عن هذه وتلك
والاتجاه إلى مآرب أخرى ؟؟ وعلى أمل أن يهلّ علينا جديداً ، تنشر لك الإتحاف
هذه المرّة نصّك الممهور بعنوان : « أحلام على قارعة الموت »

ARCHIVE « أحلام على قارعة الموت »

طويت المدينة أحمل كفنّاً
<http://Archivebeta.Sakhr.com>

وبعض أحلام الذكرى على كتفي

أمتد بي الطريق

بين سراب الوصول ...

وغدر النسور

تلوى بي أنهار كغدر الصبايا

وصمت أغنيا ...

صار موتي على قارعة الحياة

يسير نحوي ... والثقل شتاء

ولازلت حلما وجوهر ألم في قلبي

لهفة امتصّ ريقك

كلما عادت بي نسمة الذكرى
تحسست دفئك في ظلمة المصير كله ليلة
فتعصف بي الطريق غدرا
أوراق أملا قرب جداول العشق
في سباب القمر
الصمت يا حبيبتي غذاء روعي
حين تجوع ...
ونهار لي هو الحياة
على غدر الزمن
جنتك مرأت عديدة
مرة أبكي ومرة أشكي
ومرة لا شيء في قلبي
سأعود مرة أخيرة
حاملًا عشقي
ويقايل لشوقي
وأحلام أمسي
ولن أنسى يا حبيبتي
كفني الأسود وبعض بخور العنبر
حتى تلبسيني إياه
لنستوي معا في قبر الحياة الأخضر
ليكون عرسنا الفناء
وخلودنا فوق أغصان الصفاء
... مع تقاسيم الشتاء
في أعين الطير ...



وراء سحب الطيف ...

فاجعلي من الموت يا حبيبتني

رمز الخلود

ومن الدنيا فناء الوجود .

* إلى الشاب رضا أولاد عباس أصيل حاجب العيون

أيها الصديق رضا لقد تعودنا منك نمطا شعريا يفيض رقة وشاعرية ووطنية ؟
أجل اتخذت الدفاع عن الوطن قضيتك الكبرى وهمك الشاغل أملنا أن تعدّ مجلّتك
الفيحاء الإتفاف بنفحاتك في هذا المضمار . ننشر لك في هذا السياق ما عنوانه : << لا تقف ... لا تخف >>

* أوهاام

خمس وعشرون سنة

وشعبي يضحكتني

بليل أوهاامه

بسراب أحلامه

كلّما أتانا شاعر

أطاحوا بأقلامه



* لا تقف

مازال أبو القاسم

يرنّد

يا صديقي

سر على جسر الكفاح

لا تقف ...

لاتخف

هذا دمك المرجاني | لن تجف

* وعلى أمل الالتقاء بكم في حلقة قادمة ، أدعو لكم بالتوفيق في درب الإبداع .